

تأليف
الدكتور السعيد شنوقة
عضو مخبر اللسانيات واللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة عنابة
أستاذ محاضر في علوم اللسان العربي
معهد اللغة العربية وآدابها
المركز الجامعي بالطارف
الجزائر

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
الجزيرة للنشر والتوزيع
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت : ٢٥١٢٠٨٤٧



تأليف

الدكتور السعيد شنوقة

عضو مخبر اللسانيات واللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة عنابة
أستاذ محاضر في علوم اللسان العربي
معهد اللغة العربية وآدابها
المركز الجامعي بالطارف
الجزائر

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث — الجزيرة للنشر والتوزيع

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٥١٢٠٨٤٧

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

شنوقة ، السعيد.

مدخل إلى المدارس اللسانية / تأليف السعيد شنوقة . ـ القاهرة .

المكتبة الأزهرية للتراث ، [٢٠٠٨]

١٣٦ ص ؛ ٢٥ سم .

تدمك ٧ ١٧٢ ٣١٥ ٩٧٧

١ـ اللغة العربية ـ النحو ٤١٠

أ ـ العنوان .

اسم الكتاب : مدخل إلى المدارس اللسانية

اسم المؤلف : د. السعيد شنوقة

رقم الطبعة : الأولى

السنة : ٢٠٠٨

رقم الإيداع : ٢٠٠٨ / ٧٤٧٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N/ 977 – 315 – 172 – 7

اسم الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث

العنوان : ٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

البلد : جمهورية مصر العربية

المحافظة : القاهرة

التليفون : ٢٥١٢٠٨٤٧

اسم المطبعة : دار السلام الحديثة

العنوان : ٢٤ ش عمر المختار ـ الحي السابع ـ م. نصر

إهداء

إلى وطني الغالي الجزائر . .

إلى والدي الكريمين . .

إلى أبنائي : بسمة الصبح وإشراقة الأمل :

سمية . . وعبد الرحيم . . وحمزة .

أقدم هذا الكتاب محبة واعتزازا وذكرى تهفو إليها معكم روحي وتلامس ابتساماتكم فيها نبضات قلبي وتحتضن براءتكم فيها ما تعبق فيه خواطري من مشاعر الأبوة المثالية السامية .

د . السعيد شنوقة

مقـدمــة

تتعلق الدراسة بالمدارس اللسانية وتتوخى التعريف بها من حيث الأسس والمرجعيـة والتطور وما ساهم به العلماء في إطارها من مجهودات علمية بحثية متلاحقة أفـضت إلـى الدرس اللساني الحديث ..لقد حاولنا من خلالها المساهمة في إبراز بـعض جوانـب البحـث اللغوي الحديث الذي يمثل أرقى ميادين العلوم اللغوية التي عرفت حركية علمية غير قـارة لأنها كانت تتميز بالتغير في الإضافات الفكرية المتتابعة للعلماء وللمدارس التي انتموا إليها؛ ناهيك عن التوجهات التنظيرية التي واكبتها. لقد اتسمت بالدقة والإدراك العلمي والاجتهـاد والتنوع المدرسي والمنهجي والتحليلي ، ديدن الباحث فيها الوصول إلى كشف الأسرار التي يتبعها العقل مع الظاهرة اللغوية ؛ لكنها حرصت – فيما يبدو – على الظفر بقوانين عالميـة كلية شمولية للغة رغبة في استعمالها من البشر كلهم.

لقد انطلق نظرهم من أرضية خضع فيها لمعايير المنهجية العلمية وخـرج مـن دائـرة الظنيات ومجال الجدل ليدخل في كنف التحديد والتشخيص والتدقيق المتـساوقة مـع أسـس الموضوعية العلمية التي بنيت على معايير لم تكن في الواقع غريبة عن بحث للدرس اللغوي عند أسلافنا في اللغة العربية وأقول الأسس العلمية وهي : التركيز على اللغـة المنطوقـة والملاحظة– والتجريب والافتراض والاستقراء والقياس والاستنباط، هذه الأرضية العلميـة ماثلة في الأنشطة العلمية البحثية في الحضارة العربية الإسلامية في نطاق العلـوم والفنـون سواء على مستوى العلوم النظرية أم التجريبية وهو ما نقف عنده بوضوح في البحث الفلكي وبحث الرياضيات والطب وغيرها من العلوم الإسلامية كعلوم العربية بـدءا مـن المعجـم فتدقيق المبحث الصوتي فبنية الصيغ إلى البنى التركيبية فالدلالية.وهكذا لا ينبغي أن يتفاجـأ الدارس إذا وجد تطابقا بين أسس معرفية شتى بين نظر الباحثين اللسانيين-الغربيين والعلماء العرب المسلمين قبلهم بقرون سواء على مستوى المنهج أم الأسس المعرفية أم فـي النظـرة العلمية للغة الشاملة بوصفها ظاهرة اجتماعية إنسانية لذا يقف الباحث في مسائل كثيرة مـن اللسانيات المعاصرة قد جدت على مستوى المصطلح لا غير في تراثنا مثل الاعتباطية بـين

الاسفراييني وعبد القاهر الجرجاني ودي سوسير والتعلق بين عبد القاهر أيضا ونظرية الغلوسيماتيك التي نشأت عام 1933 وانتهت إلى توخي إحصاء إمكانات التأليف بين عناصر النص الثابتة وبين العامل في النحو العربي وما أفاد به نوام تشومسكي في ما أطلق عليه : الرابط الإحالي في منهجه التوليدي التحويلي.

لقد عالجنا في هذا الخضم وفي سياق التأصيل لمبحث الدراسة اللسانية الحديثة موضوع اللسانيات وأهدافها العلمية ، وحاولنا رصد مدارسها تباعا مركزين على نشوئها وأسسها ومناهجها وطرق تحليل بعض النظريات اللغوية فيها ومقارنتها في بعض الحقائق العلمية مع بعض الأصول في تراث الدرس اللغوي عند العرب الذي يزخر بما يرقى إلى إثارته وإعادة بلورته مع سمة الإدراك المعرفي اللساني الحديث بكل جدارة .

الكتاب مستمد من محاضرات قدمت إلى طلاب ما بعد التدرج السنة الأولى ماجستير تخصص علوم اللسان العربي – جامعة قالمة، الجزائر. ومن المحاضرات التي قدمت أيضا إلى طلاب الجذع المشترك لتحصيل الليسانس في اللغة العربية وآدابها جامعة عنابة ، وكذا بمعهد اللغة العربية وآدابها ،المركز الجامعي بالطارف الجزائر.

نأمل أن يحقق الغرض العلمي المراد .. وأن نوفق به إلى التحفيز نحو مزيد من البحث والتوضيح والتدقيق ومتابعة البحث اللغوي بما يفيد اللغة العربية ويستدرك من حقائق العلم اللساني المعاصر ما ينفع آلياتها وتحقق بمستعمليها انطلاقها في التعامل والإبداع والبناء الحضاري. وفقنا الله تعالى إلى هذا ..

القالة ، الجزائر، في 01/10/ 2007م.

د/ السعيد شنوقة

المدارس اللسانية

- اللسانيات: موضوعها ومادتها.
- بين الدرس اللغوي القديم واللسانيات الحديثة .
- تصنيف اللغات .
- علم اللسانيات.
- هدف البحث اللساني.
- اللسانيات البنيوية.
- كيف عالج دي سوسير القضايا اللغوية .
- المدارس اللسانية بعد دي سوسير .
- المدرسة الروسية .
- مدرسة براغ .
- المدرسة الانجليزية .
- مدرسة كوبنهاجن .
- المدرسة الأمريكية :
  - المنهج التوزيعي.
  - منهج سابير .
  - مبادئ التحليل التوزيعي .
  - طرق التحليل عند بلومفيلد .
  - المنهج التوليدي التحويلي.

اللسانيات : موضوعها ومادتها

تمثل اللسانيات نافذة مفتوحة على العالم الغربي نطل من خلالها لنطلع على إبداعاته وإضافاته العلمية والمعرفية والمنهجية فيها تساعدنا على إدراك ما عنده من النظريات والمباحث والمحاضرات ما يجعلنا نعيد النظر فيما عندنا من التنظير والتطبيق ، وهذا يجعلنا أحيانا نكتشف نقاط تشابه كثيرة مع أصولنا البحثية وتدقيقات معرفتها اللسانية. وفي اللسانيات نطلع على أشياء جديدة من ناحية أخرى سرت في شرايين العلوم ، نحن في أشد الحاجة إليها لتنوير عقولنا ولندخل من خلالها عتبة المعرفة المعاصرة ومستلزماتها ومستدعياتها غير المقطوعة بالنسبة إلينا عن ذاتيتنا اللغوية وبعدها التأصيلي القاصدة إغناء العلم اللساني ووعيه ومتابعة إدراك نواميسه ونقده وتعزيز مساره .

تعلمنا اللسانيات كيف ندرس اللغة ، ولماذا ندرسها ، وما هي قيمتها لدى المجتمعات البشرية ، إنها تجعلنا نكتشف علاقاتها بالعلوم الأخرى وكيف ساعدت هذه العلوم على تطويرها وبالتالي التأثر بها . ولا ريب في أن دراستها توجهنا إلى الاطلاع على الجهود العلمية التي بذلها القدامى والمحدثون فيها ، وهذا يتيح لنا إمكانية إثراء اللغة العربية والدراسات المتعلقة بها وتطويرها أكثر.

لقد ساعد التناول العلمي للظاهرة اللغوية على اعتماد الطرق المنهجية في دراسة اللغة وذلك من خلال التحول الذاتي للنظرية اللسانية التي أثرت تأثيرا مباشرا في دفع الحركة العلمية التي ركزت على تقويم الطريقة التحليلية في ضوء المعطيات المستنبطة من مجالي : التنظير الفكري والإجراءات التطبيقية المؤثرة في البحث اللساني . وقد عمل مفهوم هذه الأرضية فكريا وتطبيقيا على تهيئة الأساس النظري المتين لهذه النظرية وأصبحت بذلك رافدا مرجعيا لكل نوع من أنواع النشاط الفكري الإنساني.

لم تكن اللسانيات مع هذا أسبق المعارف الإنسانية إلى اتخاذ الظاهرة اللغوية موضوعا لها لأن هذا النشاط المعرفي معروف ومبرر في سياق التحول التاريخي للنشاط الفكري الإنساني عبر الأزمة المختلفة.

فتراث الأمم السابقة غنيّ بالدراسات الوصفية والتحليلية للظاهرة اللغوية من خلال:المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي.

ولا ريب في أن الظاهرة اللغوية باعتبارها نظاما تواصليا يحقق النزعة الاجتماعية التي يتميز بها الإنسان عما سواه من الكائنات قد نبهت الفلاسفة والمفكرين منذ القدم ؛ لهذا حظيت بالدراسة المكثفة التي سعت وهدفت إلى اكتشاف البنية الجوهرية لنظاميتها(1).

ولعله من المفيد أن نعلم أن أي علم سواء كان من العلوم الإنسانية أم من العلوم الطبيعية لابد أن يبني على ثلاثة أبعاد فلسفية كان لعلمائنا العرب القدامى الفضل الكبير في تحديدها عندما رسموا مناهج البحث العلمي في الحضارة العربية الإسلامية وهذه الأبعاد الفلسفية كما يلي:(2)

1- حدّ العلم(أي ماهيته) .

2- مادّة العلم(أي الموضوع أو الظاهرة الفيزيائية التي يعالجها).

3-غاية العلم(أي التطبيقات النفعية البراغماتية التي يريد تحقيقها)فحين نتناول الفيزياء مثلا في الإطار الفلسفي نجدها تمثل الدراسة العلمية للظواهر الفيزيائية بينما يدور موضوعها حول كل الظواهر الفيزيائية التي تحيط بالإنسان والكون من ماء وهواء وأرض ونار وما شابه ذلك . فهي أي الفيزياء تنظر إلى الظواهر نظرة شاملة وبمعنى آخر يتجاوز علم الفيزياء الإطار الزماني والمكاني والعرقي للظواهر الفيزيائية . أما الهدف المراد تحقيقه من علم الفيزياء فيتمثل في الانتفاع من الظواهر الفيزيائية وحركيتها لخدمة الحضارة البشرية وإفادتها بأهم التقنيات وأنجعها لتحسين حاضرها وتطوير مستقبلها .

ولما كانت اللسانيات علما قائما بذاته فإنها بدورها تتأسس على هذه الأبعاد الثلاثة التي تصحب مسار هذا العلم وتؤطره وتنظر منهجيته .

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 1. وكذا، زبير دراجي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ص 3.
[2] انظر،مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث – مدخل،دار طلاس، دمشق ،ط1، 1988 ، ص 09.

اهتمام اللسانيات :

لعله من المفيد القول بأنه لا توجد لغة بمفردها يمكنها أن تكون موضوع اللسانيات العامة؛ فبالإضافة إلى" الاسبرانتو" وهي اللغة العالمية التي ابتكرها اللساني البولوني«زامنهوف» عام1887 م، توجد عدة لغات ولهجات لا يقل عددها عن [3000] ثلاثة آلاف لغة منتشرة في أرجاء العالم أو مستعملة من الناس على مختلف جنسياتهم وبيئاتهم ؛ لهذا تهتم اللسانيات بدراسة اللغات كلها سواء كانت مكتوبة وذات تراث أدبي قديم كما هو الحال بالنسبة للإغريقية أم كانت منطوقة لا غير كما هو الأمر بالنسبة للهجات أمريكا الشمالية.

ومع ذلك تهتم اللسانيات بدراسة اللغات الحيـة المتداولة في التخاطب واللغات الميتة التي لم تعد مستعملة كاللاتينية والفرنسية القديمة وتدرس كذلك اللغة التي هي في طريق الانتشار ذات الاستعمال الضيق .

وعلى العموم لا تميز اللسانيات بين لغة وأخرى أو بين لغة ولهجة وإنما تهتم بها جميعا على السواء. لأن كلا منها يؤدي وظيفة أساسية في نظر العلماء وهي وظيفة الاتصال والتبليغ والإبداع .

إن النظرية اللسانية كباقـي النظريات بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكون مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير (1) وإذا كانت أهم فروع البحوث ترجع إلى نوعين : الأول بحوث علمية ، والثاني : بحوث فنية ؛ فإن العلم [Science] يطلق اصطلاحا على كل بحث يدرس موضوعه طائفة معينة من الظواهر لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها وتطورها ووظائفها والعلاقات التي تربط بعضها ببعض وترتبط بغيرها وكشف القوانين التي تخضع لها في مختلف نواحيها . أما الفن (Art) فمعناه الاصطلاحي كل بحث موضوعه بيان الوسائل التي ينبغي

1- د.عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية،منشورات عويدات، بيروت، 1986م،ط 1 ص 13.

الاتجاه إليها قصد الوصول إلى مجموعة معينة من الأهداف العلمية ([1]) والعلوم ثلاث مجموعات ([3]) :

1- العلوم الرياضية : تدرس خواص الكم من حيث أنه معدود أو مقيس كالحساب والجبر والهندسة.

2- العلوم الطبيعية: تدرس ظواهر الكون السماوية والأرضيـــة، والعضوية وغير العضوية كالفلك والجيولوجية والجغرافيـــة الطبيعية وعلم الحيوان وعلم النبات والطبيعة والكيمياء .

3- العلوم الإنسانية : التي تبحث في الإنسان أو في المجتمع الإنساني وتنقسم قسمين :

أولا-علوم فردية تدرس الإنسان باعتباره فردا مثل الأنثروبولوجيا(علم الإنسان)،والفيزيولوجيا الإنسانية(علم وظائف الأعضاء الإنسانية) والسيكولوجيا(علم النفس) .

ثانيـــا- علوم اجتماعية: تدرس الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع أي تدرس العلاقات التي تكون بين أفراد يضمهم مجتمع . وأمام تعدد هذه العلاقات تتعدد العلوم فنجد :

- العلم الذي يدرس العلاقات السياسية ونشأة الأمم وتطورها ونظم الحكم فيها وعلاقتها بعضها ببعض ويسمى: علم السياســـة .

- والعلم الذي يدرس النظم القضائية وتطورها والأسس المبنية عليها وما يتصل بها وهو " علم الحقوق " " العلوم القانونية والإدارية " .

- والعلم الذي يبحث في النظم الدينية وفي أصولها وتطورها وآثارها ويسمى" علم الأديان ".

- علم الاقتصاد السياسي الذي يبحث في النظم الاقتصادية التي تتعلق بإنتاج الثروة واستبدالها وتوزيعها واستهلاكها ويوضح حقيقتها ونشأتها وتطورها والأســـس القائمة عليها، ووظائفها وقوانينها .

---

[1]- انظر د .علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ، دار نهضة مصر ، ط 9 . القاهرة ، ص 24 ،25 وما بعدها. تنقسم الفنون إلى قسميــــن رئيسيين : أولا- فنـــون يقينية **Arts Rationnels** تبنى بحوثها على البحوث العلمية وتستمد منها كفن الطب المؤسس على علم الفيزيولوجيا، والتربية الحديثة المؤسسة على علم النفس وعلم وظائف الأعضاء . ثانيا- فنون غير يقينيـــة **Arts irrationnels** وهي لا تؤسس على بحوث علمية كفنون السحر والشعوذة والطب القديـــم لأنها تعتمد فيمـــا تقـــرره على الأساطير والعقائـــد والخرافات أو على محض التجربية .

[3]- انظر م ن ص26 .

- علم الأخلاق الذي يبحث في النظم الأخلاقية.

إن موضوع علم اللغة وموضوعاتها وأغراضها وقوانينها هو من البحوث التابعة لطائفة العلوم لا الفنون وهو من فصيلة العلوم الاجتماعية لأنها تتوخى في دراستها للظواهر اللغوية لتحقق أغراضا وصفية تحليلية قصد الوقوف على حقيقتها وهي العناصر التي تتألف منها والوظائف التي تؤديها والعلاقات التي تربطها بغيرها وإلى أساليب تطورها والقوانين الخاضعة لها . إنها تدرس الظواهر اللغوية لتبرز ما هو كائن لا لتبينّ ما ينبغي أن يكون ، وكل بحث هذا شأنه يسمى " علم " أما علة انتماء اللغة إلى العلوم الاجتماعية فمبنيّ على أن العلوم الاجتماعية تبحث العلاقات التي تتكون بين أفراد المجتمع ، وعلم اللغة يدرس الظواهر اللغويـــة التي تمثل جانبا في هذه العلاقات : نظـــم التفاهم- التعبير عن الخواطر والأفكار ولا تختلف عن النظم الاقتصادية السائدة في المبادلات ، وعن النظم الدينية المتبعة في العبادات والعقائد وفهم ما بعد الطبيعة ، ونظم التمييز بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة،ونظم العادات المتبعة في العائلة في الزواج والطلاق والتوريث، والنظم السياسية في توزيع السلطات ووظائف السلط وواجباتها ، والنظم القضائية المنظمة للعلاقات الاجتماعية .

إن اللغة تنظم ناحية هامة من هذه العلاقات كلها من جانب أنها تتصل بالتفاهم بين الأفراد وتمثل أداتهم في التبليغ والتفكير والإبداع والتعبير عما يجول في الخاطر.إنهاالإدارة الرئيسية في المجتمع الإنساني لأنها الوسيلة الأكثر فعالية في تمكين للفرد من الدخول في علاقات وتفاعلات اجتماعية مختلفة وهي أداة الإنسان الرئيسية في التكامل مع الثقافة التي ولد فيها.

إن اللسانيات(Linguistique) علم قائـــم بنفسه بني كغيره على أبعاد فلسفية معينة (الحد- المادة العلمية- الغاية العلمية)، وهي الأبعاد التي تؤطر مسارها وتنظر منهجيتها، ولما كانت علمية فإنها تستخدم في منهجيتها المعايير العلمية التالية كما ذكرها العالم الأمريكي" **توماس كـــون "(1) كالتالي :**

---

[1] د . مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث - مدخل طلاس دار ، ط 1 ـــ 1988 م ص . 10

1- الملاحظة.

2- التجريب.

3- الضبط.

4- الموضوعية.

وقد ذكر العالم " فرانسيس دنين Francis dinneen " في هذا السيـاق ما يجب أن نميز به بين مستويات التحليل الثلاثة عند دراسة المعارف البشرية واللسانية وهي كالتالي: ()[2]

1- الدراسـة العلمية .

2- الدراسة التي لا تخضع لقانون العلم .

3-الدراسة الغير العلمية .

وتعتمد الدراسة العلمية المقاييس التالية في البحث اللغوي :

1- ملاحظة الظواهر اللغوية.

2- التجريب والاستقراء الحيـوي المستمر .

3- بناء نظريات لسانيـة كلية من خلال وضع نماذج لسانية قابلة للتطوير.

4- ضبط النظريات اللسانية الكلية ثم تحديد الظواهر اللغوية التي تعمل عليها .

5- استعمال الرموز الرياضية الحديثة وعلاقاتها .

6- اعتماد التحليل الرياضي الحديث .

7- انتهاج الموضوعية المطلقة والدقيقة .

لقد قامت حركية التتابع الحضاري أساسا على فعالية النظام اللغوي وهو ما جعل عددا كبيرا من المفكرين والفلاسفة يعطون أهمـية كبرى لدراسة الظاهرة اللغوية،ويستطيع الباحث اللغوي الوقوف على هذا وتعقبه عبر مراحل العطاء الفكري وتاريخ هذا العطاء في رحاب الحضارات القديمة ،وسنكتفي بإشارات سريعة فيها تاركين التفصيل إلى غير هذا الموضوع .

---

[2] - انظر م ن ، ص 11.

العطاء الفكري اللساني في الحضارات – أولا : الحضـــارة الهندية :

تطورت الدراسة الهندية في القرن الخامس أو الرابع الميلادي على يد مجموعة من الباحثين يتقدمهم اللغوي المشهور " بانيني" Panini وكان الدافع إلى هذه التوجه العلمي خدمة كتابهم المقدس لدى الهندوس وهو الذي كان ينعت آنذاك " الفيدا" [Vida] وكان محور استقطاب الفكر اللغوي الهندي هو هذه المرحلة الفيدية حوالي القرن[1200–1000ق.م] التي مثلت أقدم مرحلة معروفة للأدب السنسكريتي حفاظا على النصوص الطقسية والدينية من تأثيرات الزمن والفساد اللهجي، ناهيك عن الفضول العلمي .ذلك ما أدى إلى وصف فاق نطاق الاهتمام الأصلي عندهم (1) .

لقد درس الهنود الصوت وتجلى ذلك في أبحاث " بانيني " اللغوية التي أسهمت في تطوير المنهج العلمي لدراسة الأصوات في الثقافة اللسانية المعاصرة . درسوا الصوت المفرد وقسموه إلى علل وأنصاف علل وسواكن ، وقسموا العلل إلى علل بسيطة ومركبة وقسموا السواكن بحسب مخارجها [2] وتوصلوا إلى اكتشاف الأصوات الانفجارية والفتح في إنتاج أصوات العلة والتضييق في إنتاج الأصوات الاحتكاكية.

وبينوا بأنه إذا فتح ما بين الوترين الصوتيين ينتج النفس وإذا ضيق ما بينهما ينتج الصوت وبان النفس يحدث في حالة الأصوات الساكنة المهموسة.

ولم يكتفوا بذلك بل تحدثوا عن المقطع وفصلوا فيه، ووضعوا قواعد للنبر في لغتهم القديمة وعدّوه من خصائص العلل لا السواكن وقسموه إلى ثلاث درجات .

ولقي الدرس النحوي عندهم العناية الفائقة لأنه كان في الهند ما يقرب من اثنتي عشرة مدرسة نحوية مختلفة وأكثر من ثلاثمائة مؤلف في النحو ، ووصلتنا من هذه الدراسات النحوية ما يزيد على الألف ما بين الدراسات الأصلية والشارحة. لقد مثل 'بانيني' فترة النضج

---

1 - انظر ر.هــ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ، ترجمة د أحمد عوض ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت عدد227 ،1997، ص 227، 228.وانظر أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م ، ص2 .

2 - د أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ص56 . ور.هـ روبنز ،موجز تاريخ علم اللغة ، ص 236، 237

في الدراسات النحوية عند الهنود ، وكان لكتابه المسمى" الأقسام الثمانية "شهرة فاتت وغطت ما سبقه وما لحقه،ضمنّه قواعد مختصرة وفق فيه بين الآراء والاتجاهات المتعارضة السائدة حينئذ.([1])

أهم مميزات النحو الهندي:

1- البدء بجمع المادة اللغوية وتصنيفها ثم استخلاص الحقائق منها مخالفين في هذا لليونانيين الذين بدأوا من الفلسفة وحاولوا تطبيق القواعد الفلسفية على حقائق اللغة .

2- أنه سبق النحو اليوناني في تحديد أقسام الكلام :(اسم ــ فعل ، حرف إضافة، أدوات).

3- حلل هذه الأقسام إلى عواملها الأصلية، فميّز بين الجذر والأصل وبين الزيادة أو الحروف التشكيلية .

4- عرف النحو الهندي الأعداد الثلاثة: المفرد والمثنى والجمع .

5- قسم النحو الهندي الفعل السنسكريتي إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمن وهي: ماض وحاضر ومستقبل .وقد نالت المعاجم اهتمامهم في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة والذي تطور لشرح معنى كل لفظ في القائمة ويعد عملهم هذا من قبيل:" معاجم الموضوعات " و"معاجم المعاني".[2]

ثانيــا: الحضارة اليونانية :

لهذه الحضارة رصيد معرفي طلائعي في مجال الدرس اللغوي تميزت عطاء اتهم فيه بالسمة النظرية التي لا يمارس فيها ، فقد أسهموا في كشف حقيقة النظام اللغوي عند الإنسان نتج عنه تراكم كثيف من المفاهيم والتصورات التي تصلح إلى وقتنا لأن تكون رافدا مرجعيا يعول عليه في البحث اللساني المعاصر،وتبدو القيمة العلمية للتراث اللغوي اليوناني في البحوث التي قدمها:أفلاطون(428ق.م–348ق.م)وأرسطو(348ق.م إلى322ق .م)والمدرسة الرواقية([1]).

---

[1]- انظر م ن ، ص 56-57.
[2]- م ن ، ص 58.
[1]ــ تأسست مدرسة الرواقيين على يد Zeno حوالي (300 ق . م) : وحسب ر.هــ روبنز فإن أكثر المدارس الفلسفية أهمية في تاريخ علم اللغة هي المدرسة الرواقية التي عمل في إطارها الرواقيــون فـــي

ومما انـشغل به اليونانيون في موضوع اللغة: هل اللغة أمر طبيعي أو عرفي ناتج عن اتفاق البشر وتواضع بينهم ، ذلك ما شهدته محاورات أفلاطون(429-347ق.م) في عرض وجهتي النظر السالفتين وعالج أصل الكلمات ، وموضوع العلاقة بين الاسم والمسمى.وهو الذي قسم الكلمة إلى : [اسم وفعل وحرف] ودرس مجالات لغوية كالجنس والبسيط والمركب وموضوع الإعراب ، وهو الأول الذي تحدث عن النحو الإغريقي وقواعده بإسهاب وجدية([2]) وتطور الجدل بعد هذا ليصل إلى أيدي القياسيين Analogie والشذوذيين فالأولون عدّوا اللغة فطرية وقياسية ومنطقية، وقال الآخرون: إن عدم إطراء اللغة خير دليل على بطلان الرأي الأول.

ويعد أفلاطون أول من فرّق بين الاسم والفعل وقدم تقسيما ثلاثيا للأصوات : أصوات العلة – والأصوات الساكنة المجهورة – الأصوات الساكنة المهموسة . وقد أقرّ أرسطو تقسيم أفلاطون للكلمة إلى :

[اسم – وفعل] وأضاف إليها قسما ثالثا سماه:[رابطة] .

وأنتج اليونانيون في مجال المعاجم عددا ضخما منها ، كانت القرون الأولى بعد الميلاد تمثل العصور الذهبية لهذه المعاجم بخاصة في الإسكندرية نذكر من أشهرها معجم أبوقراط Hippocrate ألفه عام 180 ق.م وهو معجم ألفبائي ([3])

بعض المجالات التي عمل بها أرسطو؛ بيد أنهم تميزوا بمناهجهم وأفكارهم الخاصة في بعض نواحي الفلسفة والبلاغة .وكان لعلم اللغة في عهدهم شأن واضح داخل الإطار العام للفلسفة . وضع اللغة في نظام الرواقيين يمكن إبرازه في الشواهد التالية :في البداية يأتي الانطباع بعد ذلك يعبر العقل بالكلمات –مستفيدا من الكلام – عن التجربة الحاصلة عن الانطباع وكل الأشياء يمكن إدراكها من خلال الدراسة الجدلية لذا اتفق معظم الناس على أن الصحيح هو البدء بدراسة الجدل من جزئه الذي يبحث في الكلام .ميزوا بين الدال والمدلول في كل دراسة لغوية وبين أقسام الكلام :الاسم– الفعل– الحرف–والرابط . وقسموا الاسم إلى اسم جنس وعلم .. وغيرها. ونظروا إلى صعوبة تفسير النصوص المرتبطة بالموضوع .وعلى العموم شكل العلم اللغوي عندهم جزءا من نظامهم الفلسفي العام واعتقدوا أن الأسلوب القويم يتمثل في الحياة بانسجام مع الطبيعة وبأن المعرفة تكمن في انسجام الأفكار مع الأشياء الطبيعية الموجودة في الطبيعة وأن هذه الأفكار ما هي إلا صور في حد ذاتها : انظر ر.هـ روبنز ، موجز تاريخ اللغة في الغرب ، ص 41 وما بعدها.وكذا أحمد مومن اللسانيات النشأة والتطور ، ص20.وكذا د. إبراهيم السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ، دار الأندلس ، بيروت ط3 ، 1983م ، ص 15، 16.

2 – انظر ر.هـ روبنز ،موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ص 40.وكذا د. إبراهيم السامرائي،التطور اللغوي التاريخي ، ص 14.وكذا أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 17، 18.

3 – انظر د. أحمد مختار عمر البحث اللغوي عند العرب 61.

ثالــثا : الحضــارة الرومانية :

لم تكن هذه الحضارة الوارث الشرعي تاريخيا للتراث اللغوي اليوناني بيد أنها طبعت هذه التراث بسمات الرومان الثقافية والحضارية ودفعت الحركة العلمية في الدراسة اللغوية وهو ما يبدو في البحوث الدلالية والبلاغية .

رابعــا:الحضارة العربية الإسلامية :

لم تكن أقل شأنا من الحضارات السابقة سواء في النشاط الفكري بعامة أم في النشاط اللغوي بخاصة: فقد كان للعرب جهود لامعة في مجال الدرس اللغوي نال إعجاب العلماء وتقديرهم ، غطى المستويات الصوتية والصرفية والنحوية(التركيبية) والدلالية . نشأ هذا البحث اللغوي في ظل الثقافة العربية الإسلامية وفي إطار التحول الحضاري العميق الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع العربي والإنساني كافة. ولقد تمحور هذا الجهد حول مدارسة القرآن الكريم في علوم نعتت بأنها العلوم الإسلامية : علم القراءات،علم التفسير، علم البلاغة بفروعها(البيان والمعاني والبديع) ،علم النحو(وما يتخلله من دراسات صوتية وصرفية)،علم الكلام،علم الفقه ،علم أصول الفقه، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ ،وعلم الاشتقاق،وعلم اللغة.وقد أضاف السيوطي(ت911هــ): علم الموهبة: وهو علم يورثــه الله تعالى لمن عمل بما علم. قال الرسول صلى الله وعليه وسلم: [من عمل بما علم ورثــه الله علم ما لا يعلم] ([1]).

إن الدراسة اللغوية عند العرب زخرت برصيد معرفي هائل له مكانته العلمية في الفكر اللساني المعاصر لأنه يمتلك الشرعية العلمية في إطار الحضارة المحققة التي اعتُمِدَ عليها في تتميم الأسس المعرفية للنظرية اللسانية المعاصرة .وهو وإن تمحور حول القرآن الكريم ليكون متسما بالبعد الديني ويتشرف بقدسية النص القرآني- كلام الله عز وجل – فإنه يحمل في عمقه أيضا الفضول العلمي والتطلع إلى إغناء الدراية المعرفية والعلم في بعده الإنساني الذي يأمر به التكليف في مقاصد الشريعة .

---

[1] - انظر الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) ج 2 ص 180 وما بعدها، وكذا .د محمد حسيــن الذهبي،التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة ، ط4 ،1989، ج1 ص255 ، ما بعدها.

ولم يتوقف مؤرخو علم اللغة من الأوربيين ليدرسوا الفكر اللغوي العربي كما درسوا الفكر المعاصر له بخاصة فكر الهنود واليونان واللاتينيين ، ولكن قلة من المستشرقين درسوا تراثنا اللغوي حق درسه وقدّروه حق قدره فهذا **[فيشر]** يقول عن عمل المعجم العربي :« وإذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم اللغة وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول العرب » [1] .وقال المستشرق **[نولدكه]** معبرا عن إعجابه أمام وفرة مفردات اللغة العربية: «إنه لابد من أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات العربية ،عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدا .. .وبلدهم ذو شكل واحد ولكنهم داخل هذه الدائر يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة» » ثم قال: [2]«والعربية الكلاسيكية ليست غنية فقط بالمفردات ولكنها غنية أيضا بالصيغ النحوية»بينما عبر الفيلسوف العالم **[ارنست رينان]** عن إعجابه بالعربية فقال:من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية ، وتصل إلى درجة الكمال عند أمة من الرحل ،تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها »»[3]

وقد نالت الدراسة الصوتية عند العرب إعجاب هؤلاء المستشرقين وذهلوا أمام دقتها في الوصف والتقسيم الأمر الذي جعلهم يعتقدون افتراض اقتباسهم من حضارات سابقة كالإغريق والهند مثلما أشار في ذلك العالم اللغوي **[فولرز]** إلى بعض نقاط التماس بين **[بانيني]** الهندي وبين العلوم الصوتية التي أنشأها أوائل النحاة العرب كالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)ونرى فكرة هذا التأثر ترجيحا ومزعما لا ثبت له لأننا نعده افتراضا وتخمينا لا يرقى إلى الصحة ولا يتوفر على الدليل والثبت المادي ، ولعل ذلك ما جعل المستشرق (بروكلمان) يتخلى عن هذا الزعم ويعد وجود علم الأصوات عند العرب ظاهرة هامة في حد ذاتها لأن

---

1 - المعجم اللغوي التاريخي ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، 1976 .

2-اللغات السامية ، تخطيط عام ، ص28: نقلا عن محمد جابر الفياض ،أهمية اللغة في الحياة الإنسانية – تعقيب 1، ص 278 مجلة اللغة العربية والوعي القومي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 1984م ، ص 291.

3- محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها ،ط 2،المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح ،دمشق، 1960م ص 19.وانظر محمد جابر فياض ،أهمية اللغة في الحياة الإنسانية – تعقيب 1 - مجلة اللغة العربية والوعي القومي . ص291.

علم التجويد (علم القراءات كان مقترنا بعلم الأصوات وضبط مخارجها فتجد العلماء قد أدرجوا ضمن مصنفاتهم إلى جانب قواعد التلاوة فصلا أو مبحثا يتعلق بمخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها وهو ما يمكن معاينته في كتاب[النشر في القراءات العشر] لابن الجزري مثلا وغيره من العلماء الذين ذكروا في مؤلفاتهم ملاحظات في الأصوات كالجاحظ في [البيان والتبيين] الباقلاني في [إعجاز القرآن]وابن سنان في [سر الفصاحة] وابن جني في [سر صناعة الإعراب] وكابن أبي مريم في كتابه [الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها] ، وما شابهها من المؤلفات ؛ فبلغوا في ذلك من الدقة والعمق شأوا كبيرا. ولا بدا أن ننبه إلى أن العلماء القراء كالفراء مثلا(ت 207 هـ) وهو النحوي الكوفي المعروف كان مع غيره من المشهورين بعلم القراءة. ناهيك أن كثيرين من أئمة اللغة والنحو برعوا أيضا في القراءة كأبي عمر بني العلاء (ت 154هـ) والكسائي (ت 189هـ) ([1]).

وإذا كان الدرس الصوتي عند علماء اللغة المحدثين يمثل أول خطوة في أي دراسة لغوية لأنه يتناول أصغر وحدات اللغة وهي الصوت الذي يمثل المادة الخام للكلام البشري فإن اللغويين العرب لم يبحثوا الصوت بحثا مستقلا ولم ينظروا في البدء إلى الدرس الصوتي النظرة التي رآها المحدثون وإنما تناولوه مختلطا بغيره من البحوث ؛ لذا خصص سيبويه في الكتاب حيزا لدراسة الإدغام وقواعد الإعلال والإبدال،وعالج الأصوات قبل معالجة الإدغام ([2])وتطرق المبرد (ت 282هـ) إلى الإدغام في كتابه المقتضب،الجزء الأول وقدم للموضوع بدراسة حول الأصوات ومخارجها ، وكذا الزجاجي (ت 337هـ) في كتابه " الجمل" حين مهد للإدغام بطرح بعض الأفكار المتعلقة بالدرس الصوتي.أما الزمخشري(ت 538هـ) فقدم دراسة للأصوات سبق بها ظاهرة الإدغام في آخر كتابه الموسوم :"المفصل" وتناول أصحاب المعاجم بعض المسائل الصوتية في مقدمات معاجمهم أو في ثنايا المادة اللغوية المجموعة([3]).

---

[1] ـ انظر د.محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ، القاهرة ، ص 270 وما بعدها. ود. أحمد مختار عمر،البحث اللغوي عند العرب ،ص93ـ94.

[2] ـ انظر سيبويه،الكتاب،ج4،ص431 وما بعدها .

[3] ـ د.أحمد مختار عمر،البحث اللغوي عن العرب،ص 91، 92 .

ويعد ابن جني (ت 392هـ) أول مستعمل لمصطلح اللغوي الدال على هذا العلم الذي مازلنا نستعمله حتى وقتنا "علم الأصوات"([4]) وخصه ابن سينا الفيلسوف المشهور برسالة تعرف " أسباب حدوث الحروف " ومن أهم نتائج الدراسة الصوتية لدى العرب:

أ- وضع أبجدية صوتية اللغة العربية رتبت أصواتها بحسب المخرج بدءا من أقصى الخلق على الشفتين وأول واضع لذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 170هـ) تشمل تسعة وعشرين حرفا([5]).

ب- تحدث العرب عن أعضاء النطق ومخارجها الأصوات بالتفصيل وصنفوا الأصوات بحسب مخارجها وهي ثمانية مخارج عند الخليل، أما غيره فحدد مخارجها في ستة عشرة أو سبعة عشرة كسيبويه،ابن دريد وابن جني وعلماء التجويد .

ج- عرف العرب أن طريقة التحكم في الهواء عامة في إنتاج الصوت وقسموا الأصوات تبعا لذلك إلى شديدة ورخوة ومتوسطية .

د- فصل العرب الأصوات المطبقة عن غيرها فهي: الصاد الضاد والطاء والظاء.

هـ- عرفوا الرنين الذي قد يصحب نطق الأصوات مثل الأصوات المجهورة وقسموا الأصوات بحسب هذا الرنين أو عدمه إلى مجهورة ومهموسة .

و- قسم العرب الأصوات إلى صحيحة ومعتلة.

ز- عرفوا أقسام أصوات العلة فقسموها إلى قصيرة وطويلة وأطول ([1]) .

وعلى أية حال ليس هذا مجال تفصيل الدرس الصوتي أو الصرفي أو النحوي عند العرب ولكننا نقول : أنه لم يعرف أي دراسة لغوية للعرب قبل الإسلام فهم مسبوقون من الأمم الأخرى التي ذكرناها بجهود راسخة قبل ظهور الإسلام بقرون.

وبعد ظهور الإسلام لم تكن عنايتهم موجهة إلى البحث اللغوي لأنهم انشغلوا بتوجيه اهتمامهم أولا إلى العلوم الشرعية والإسلامية وحين فرغوا منها اتجهوا إلى غيرها من العلوم

---

[4]– انظر م ن ، ص 99.

[5]– انظر م ن ، 191.

[1]– انظر ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ص 19-20.

فقد ذكر السيوطي قوله:إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث الشريف ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني،وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينهما اللغة والنحو.([2]) وذكر احمد أمين بأن أكثر مسائل اللغة كتبت في العصر العباسي الأول لا قبله . ومن المعلوم أن العصر العباسي الأول يبدأ من سقوط الدولة الأموية سنة 13هـ . وما عرف من المسائل النحوية قبل هذا التاريخ لم يقصد إليه قصدا أو يستهدف لذاته وإنما أريد لكونه يخدم النص القرآني .

ولا نريد أن نبسط بعض القضايا قبل أوانها حين نسير إلى تطابق وجهات النظر بين بعض العلماء المدرجين في الدراسة مثل (دي دسوسير، وتشومسكي وماتيزيوس ومارتني) وبين (الإمام عبد القاهر الجرجاني) في بعض المسائل اللغوية .

ذلك أن عبد القاهر الجرجاني قد أبرز الصلات التي تكون بين الكلمات التي تتألف منها الجملة – موضوع تعلق الكلم بعضه ببعض– واهتم في كتابه (دلائل الإعجاز) بالعلاقات القائمة بصورة متبادلة بين وحدات الكلام،وهو ما أكده في النظم، وأكد معه بأن الهدف من اللغة لا ينحصر في إعلام السامع بمعاني المفردات وإنما اللغة وضعت للتواصل فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية:". ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس لا يكون خبر " حتى يكون مُخبِرا به ومخبِرا عنه.."([1]) .أما الدراسة اللسانيات عند دي سوسير في هذا الجانب فمن أول المبادئ التي أقام دراسة اللسانيات عليها هو حدّ الألسنة التي تتوخى الوصف والتاريخ([2]) للغات التي تتمكن منها ، ومن حدّها أيضا البحث عن القوى التي تعمل باستمرار في لغات العالم كلها ونريد من وراء ذلك أن نستخلص القوانين العامة التي يمكن أن تلتقي فيها اللغات تشترك فيها، وعلى ضوئها تكون ظاهرة اللسان أواللغة أداة تبليغ وهي الوظيفة الأصلية لها . وهذا معناه أن اللغة عند دي سوسير–كما رأينا عند عبد القاهر الجرجاني قبله بقرون–

2– تاريخ الخلفاء ، ص 173 .

1– دلائل الإعجاز ،ص 415 – 416 .

2 –انظر، فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي وغيره المؤسسة الجزائرية للطباعة ،1989م ، ص17

هي[نظام وبنية] وبعبارة أخرى مجموعة متسجمة من العناصر أو الكلمات أو الوحدات اللغوية، وهذه الوحدات تركب بعضها ببعض بصورة تحقق غرض التواصل.قال دي سوسير:«إنها منظومة من العلامات التي لا أهمية فيها لغير الوحدة بين المعنى والصورة السمعية ويكون فيه جزءا العلامة نفسيين أيضا "([3]) " اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكره ما" ([4]) نستنتج من كلامه بأنه يقر القيمة اللغوية للعناصر والوحدات التي تجمع بين المعنى والصورة السمعية . وقال في موضع آخر :" هي منظومة نحوية موجودة بالقوة في كل دماغ وعلى درجة التحديد في أدمغة مجموعة أفراد إذا أنها لا توجد كاملة تامة عند الفرد وإنما لدى المجموعة ([5]) نفهم منه أن اللغة كلّ منظّم لا يمكن دراسة هذا الكل إلا وهو يعمل كمجموعة ولا يتخذ العنصر بمفرده أية دلالة وبهذا يتضح تأكيده بأن اللغة ظاهرة اجتماعية غرضها إعلام السامع خبرا يجهله .

واللغة عند عبد القاهر الجرجاني نظام لربط الكلمات بعضها ببعض ، ويقوم هذا النظام اللغوي على ربط الكلمات بعضها ببعض- كما سبق- وفقا لمقتضيات معينة في السياقات الاجتماعية بين المتكلم السامع والمخاطب ذات دلالات عقلية وبفضل هذا النظام تتمكن اللغة من أداء وظيفتها بوصفها وسيلة اتصال الناس بعضهم ببعض، ومحصّلة هذا الذي عرضه عبد القاهر وأكدّه في النظم هو:أن اللغة تعمل كمجموعة ذات روابط وعلائق معينة وحين تراعي تلك الروابط والعلاقات بين عناصرها في السياقات المفترضة بين المتكلم والمخاطب تؤدي اللغة وظيفتها في التبليغ والتواصل ([1]) .

وإذ كان عبد القاهر لا ينكر أن الفكر يتعلق أصلا باللفظة المفردة إلا أنه يؤكد أن الألفاظ أوعية للمعاني وهو هذا يربط المعنى بالفكر.أما دي سوسير بعده فإعتبر الألفاظ رموزا للمعاني.

3- م ن، ص 26 .

4- م ن ، ص 27 .

5- م ن ، ص 25 .

1 – أنظر صالح بلعيد،التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية 1994 ، ص 213 وما بعدها .

الفروع العلمية لعلم اللسانيات :

وضع علماء اللسانيات فروعا عديدة لهذا العلم يهتم فيها كل فرع بناحية جزئية من اللغة نذكرها كالتالي: ([2])

1-علم اللسانيات العام أو (النظري):

2 -علم اللسانيات الوصفي.

3-علم اللسانيات المقارن.

4- علم اللسانيات التاريخي .

5- علم اللسانيات التطبيقـــي:

إن اللسانيات علم استقرائي موضوعي تجريبي ومنهجي أي يقوم على الملاحظات والفرضيات والتجارب والمسلمات ، يهتم بالحقائق اللغوية القابلة للاختبار ويعنى مع ذلك بالمبادئ الثابتة ويقنن نتائجها في صيغ مجردة أو رموز جبرية رياضية ، وليس كل ما تدرسه الفروع اللسانية المختلفة يتمتع بالسمة العلمية غير القابلة للنقاش،وعليه فاللسانيات كما ذكر اللغوي (بولينغر Bolinger): ليست كالفيزياء يؤدي فيها الخطأ إلى انهيار جسر أو سقوط طائرة . اللسانيات لم تبلغ سن الرشد بعد ولم يدع أحد بأنه بلغ في بحثها القمة وأجاب عن كل الانشغالات العلمية التي تمكننا من أن نقعد وننظر من خلالها، لذا فهذا العلم متحرك دينامي، يمكن وصفه بأنه أقرب إلى الدقة وإلى الموضوعية وإلى الشمولية لا غير([1]).

وقد ارتأينا للفائدة الخوض في أقسام اللسانيات العامة لأهميتها:

2-انظر د. مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص4 وما بعدها.ود.أحمد خليل عمايرة، في نحو اللغة – وتراكيبها – منهج وتطبيق-عالم المعرفة ، جدة ط1 ،1984م ، ص22 وما بعدها.

1- انظر د. مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مدخل ، ص 42 ، 43 وكذا أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور(د . م . ج)،الجزائر، 2002 م عنوطـــــة المؤلف .

أقسام اللسانيات العامة

1- علم اللسانيات العام(النظري) Linguistique Générale

وهو يتناول بالدراسة الحقائق اللغوية المشتركة بين اللغات البشرية بغض النظر عما بينها من قرابة وعلاقات تاريخية.موضوعها اللغة وعلى هذا الأساس تستعمل اللسانيات اللغة لدراسة اللغة بذاتها ولذاتها كما قال دي سوسير وهذه خاصية تخالف بها غيرها من العلوم ويبنى منهجها على :

أ-الشمولية:أي يبحث ويدرس كل ما يتعلق بالظاهرة اللسانية .

ب-الانسجام:ويستلزم إبعاد أي تضارب بين الأجزاء في الدراسة الكلية.

ج-الاقتصاد:أي الإيجاز والتركيز مع التحليل المدقق ميدانيا وتوظيف الأجهزة لدراسة الأصوات بتدقيق مثلا.

ويهتم بالجواب عن كيف يعرف عالم اللسانيات الموضوع اللغوي المعالج وما يفترضه في الخواص اللغوي العامة لابد أن يكون في جميع اللغات العامة كيف يمكن وصف هذه الخواص اللغوية؟ وكيف تتم مقارنتها؟ ، ما الاختلاف بين الوصف التقليدي للغة وبين الوصف الذي تناولته المدارس اللسانية المعاصرة ؟ إنها تدرس المبادئ العامة التي تبنى عليها اللغات وتحاول إيجاد الطرق اللازمة لدراستها بوصفها ظاهرة إنسانية عامة والسعي إلى تعميم هذه الطرق على كل الأصناف اللغوية التي تستعملها الجماعات البشرية([2]) .

2- علم اللسانيات الوصفيdescriptive (اللسانيات الآنية synchronic)

مصطلح مكون من [dia] ومعناه [عبر] وchronic ومعناه [زمن] وهي اللسانيات الوصـــفية التي تعني بدراسة اللغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معنيين وخاصـــة فـــي الـــزمن

---

[2]- لا تكمن مهمتها في استخراج الأحكام المتعلقة بالخطأ والصواب المرتبط بالاستعمال اللغوي او تطوير مناهج التدريس وتسهيل طرق التعليم وإتقان الأساليب الأدبية ، فهي إلى جانب دراستها للمبادئ العامة تبحث الاختلافات من اللغات وتشخيصها ونبتكر المصطلحات لها فهي تكشف البنى الصوتية والنحوية والدلالية للغات ووظائفها .انظر د. مازن الوعر ، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث- مدخل- ص40. وكذا د. محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في علم اللسانيات الحديثة، الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر 1987م ، ص 135.

الحاضر من أجل وصف مستوياتها : المعجمية والصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية بطريقة علمية دقيقة خاضعة لمناهج البحث العلمي وتقصد الأغراض التي ترمي إليها هذه العلوم وذلك للتمكن من تحقيق غاية أساسية هي الوقوف على كشف القوانين التي تخضع لها الظواهر اللغوية ، وفي هذا الإطار حرصنا على ذكر النص المتعلق بدراسة اللغة أنيا وصفيا [تزامنيا] أو تطوريا[تزمّنيا] كما وردت عند دي سوسير الذي قال فيها: « نحن نميز بين ألسنيتين اثنتين، فكيف لنا أن نسميهما ؟ إن العبارات التي بين أيدينا ليست بقادرة كلها على مهر هذا التمييز، وهذا فعبارة [تاريخ] و [ألسنية تاريخية] غير مستخدمتين ، وذلك لاستدعائهما أفكارا غامضة جدا ولون التاريخ السياسي مشتملا على وصف حقب زمنية وسرد أحداث ، فإنه ليمكننا تصور دراسة اللغة بحسب محور الزمن ،واضعين من خلال تلك حالات لغوية متعاقبة؛ولهذا كله فلا بد من تصور الظواهر التي تنقل اللغة منعزلة من حال إلى أخرى.إن عبارتي [تطور وألسنية تطورية] هما أكثر دقة،وكثيرا ما نستعملهما ومقابلة لذلك يمكن الحديث عن علم [حالات اللغة أو الألسنية السكونية] » ثم أضاف :« ولإيضاح هذا التقابل كليا فإننا نؤثر الكلام على الألسنية [التزامنية والأخرى التزمّنية] وهذا تقاطع لنوعين من الظواهر المتعلقة بالغرض نفسه ، فالتزامني هو كل ما يتعلق بالجانب السكوني من علمنا هذا ، والتزمّني هو كل ما يمت بصلة إلى التطور وهذان معا يدلان كذلك على حالة لغة وعلى مرحلة تطور بشكل متعاقب» ([1])

ويقابل مصطلح اللسانيات الآنية (الوصفية) مصطلح اللسانيات التطورية سماها دي سوسير Diachronic يعنى بدراسة تطور اللغة عبر الزمن وهناك مصطلح آخر يستعمل مرادفا للسانيات الزمانية أو التطورية هو اللسانيات التاريخية. إن الوجهة العلمية لهذا النوع وجهة وصفية تختلف عن الوجهة اللسانية القديمة التقريرية الإرشادية الأمرية التي ركزت على التمييز بين الصواب والخطأ والمقبول من غيره .أما الوجهة العلمية للسانيات الحديثة فوصف مدقق لما يسمع من كلام بلا حكم على مادتها وليس من مهمة الواصف وضع قواعد معينة

1- محاضرات في الألسنية العامة ، ص103. وانظر د. محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ، دار النصر للطباعة ، القاهرة، 1983م ، ص 146.

تستخدم اللغة على ضوئها أو تستعمل. ويختص البحث الوصفي بدراسة وتحليل وظيفة اللغة واستعمالها في :الحاضر نطقيا. وكذلك في الماضي حين يتعلق الأمر باللغات المدونة ما كان منها حيا كالإغريقية مثلا أو ما كان ميتا منها مثل اللاتينية .وكتاب دي سوسير : Cours de Linguistique General يمثل البذرة الأولى للمنهج الوصفي في دراسة اللغة عزف فيه عن المنهج التقليدي الذي تتبع البحث في أصل اللغات ومبدأ نشوئها وعن الأصول اللغوية وفروعها من غير أن يظفر بنتائج علمية موضوعية ؛لذا دعا اللغويين إلى البحث في اللغة الواحدة في زمن معين دراسة [سانكرونية] آنية فيها اللغة نظام ساكن غير متغير ثابت، فهم فيها الرمز اللغوي بأنه نتيجة للارتباط بين الشيء الخارجي والصورة الذهنية لذلك الشيء .

3-علم اللسانيات التاريخي:Linguistique Historique

يبحث تطور اللغات عبر الأزمنة المتعاقبة ويكشف أسباب التغيرات الحادثة من مستعملي اللغة أي التغير الحادث من داخل اللغة أو من خارجها مما قد يقع بعامل الاحتكاك والاختلاط بلغات أخرى .إنه يدرس التطورات الحادثة في اللغة الواحدة أيضا انطلاقا من نشأتها وعبر مراحلها المختلفة إلى الوقت الحالي ليقف على تاريخها وعلى أسباب تغيراتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية؛ فهي تدرس اللغة عبر الزمن دراسة يطلق عليها الدراسة التزمنية أو التطورية مع تسميتها اللسانيات التاريخية ولم يكن المبحث اللساني التاريخي محبذا من اللسانيين إلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لأن التاريخ لا يتناول بالدراسة الظواهر اللغوية وإنما رأوه يتناول بالبحث الأمم الماضية وسلالاتها الحاكمة والخاضعين لهؤلاء الحكام إلى جانب الحروب الواقعة.وهذه عتبة قادت البحث اللساني إلى الاختلاف عن الدراسات التقليدية .يقم منهجها على :([1])

- جمع عينات لغوية من أسرة واحدة.
- تسجيل التطورات المتتابعة للكلمة عبر تعاقب العصور .

---

[1]- انظر أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 65

- يقوم الباحث إثر هذا ببناء افتراضه الأولي على المنهج الذي حدده أصحاب هذا العلم .

4-علم اللسانيات المقارن: Linguistique Comparative

وفيها يقابل الباحث بين الظواهر اللغوية وأنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وكذلك في الفروع المنتمية إلى أصل واحد للوقوف على صلاتها التاريخية وما قد تلتقي فيه أو تفترق للتوصل إلى اللغة المشتركة التي انحدرت منها هذه اللغات. ([2])

ونشير إلى أنه كثيرا ما يقترن في الواقع اسم الدراسة اللسانية التاريخية باسم الدرس اللساني المقارن لتكاملهما في تحقيق غاية واحدة هي إعادة آلية البناء النظمي الداخلي للغات والسعي إلى تركيب التاريخ اللغوي العام من منظور لغوي تاريخي؛ لذا عدهما البعض فرعا واحدا غير أن من العلماء من رأى استقلاليتهما عن بعضهما البعض لكن فئة ثالثة قالت بتبعية أحدهما للآخر([1]) . والواقع أن الدرس اللساني المقارن يعكس شكلا من أشكال البحث اللساني التاريخي لأن تفرع اللغة الأصل أوالأم إلى لغات إنما هو تطور تاريخي وهذا واضح.

5- علم اللسانيات التطبيقي: Linguistique Appliqué

يريد هذا العلم الوصول إلى نظرية تفسر الكيفية التي تعمل بها اللغة وهو علم ذو خلفية نظرية وخلفية ذات اتجاه عملي تطبيقي ، غلب تسميته كذلك ، ويتتبع :

- ملاحظة الظواهر اللغوية .
- تفسير هذه الظواهر.
- تفسير العلاقات بينها .
- التحكم في النظام الذي يحكمها .

2-انظر د. محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ص 151. وما بعدها .ود. زكي كريم حسام الدين أصول تراثية في علم اللغة ، ص108. ود. خليل أحمد عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ،ص23.

1- انظر أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 65

عرفه (كريستال)بأنه :« تطبيق نتائج المنهج اللغوي وأساليبه الفنية في التحليل والبحث في ميدان غير لغوي » وأضاف معلقا : « وعلم اللغة بهذا المعنى ما هو إلا وسيلة لغاية معينة أكثر منه غاية في ذاته »([2])

تبحث في أنجع الوسائل المنهجية في تقنيات تعليم اللغات البشرية وتعلمها ووضع النصوص اللغوية واختيارها ووضع الامتحانات ، وامتحان الامتحانات ، ووضع المناهج اللغوية التربوية وتعنى بثنائية اللغة وأثرها في عملية التعليم والتعلم.وهذه الخلفية تبرز صلة واضحة بين اللغة والتطبيقات الوظيفية التربوية النفعية التي تفيد في نقلها وتعليمها للناطقين ولغير الناطقين بها ([3]). إنها ذات صلة بالتطبيقات الوظيفية التربوية من أجل تعليم اللغة؛ لذا يرصد هذا النوع آليات التعليم وهرمه المؤسس على المتعلم والمدرس والمنهاج ويتحرى الإمكانيات التعليمية ووسائلها وطرق التعليم والتقييم من منظور [**التعليمية**]([4]) كفكر تربوي مبني على العلم والبحث ويعي الجديد ويستوعبه في إطار حركية المجتمع وفعالية التمدن العالمية.ويشمل علم اللسانيات التطبيقي: الترجمة الفورية والتربية.

بين الدراسة اللغوية القديمة والبحث اللساني الحديث :

إن ما يميز الدراسة اللغوية القديمة التي تنعت بالتقليدية عن الدراسة اللسانية الحديثة هو أن التوجه العلمي للسانيات المعاصرة توجه وصفي ؛ بيد أن التوجه اللغوي التقليدي معياري إرشادي تقريري لأن الغاية التي أرادتها المدارس النحوية القديمة كان التمييز بين الخطأ والصواب وبين المقبول والمرفوض .وبالمقابل يسجل علم اللسانيات الحديث ما يسمعه فقط من متكلمي اللغة ليصفه بدقة متناهية دون الحكم على مادته التي وقع المتكلم بها، وليس من مهمة عالم اللسانيات الذي سعى إلى تسجيل الكلام الذي سمعه بدقة وموضوعية أن يضع قواعد معينة يمكن من خلالها استعمال اللغة واستخدامها رغم رغبة

---

[2] – التعريف بعلم اللغة ، ترجمة د. حلمي خليل ، الهيئة العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ص 174.

[3] – انظر مازن الوعر ، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ص 13 .ود.كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ص105-106-107.

[4] – انظر أحمد العمراوي ، وغيره ، ديداكتيك التربية الإسلامية من الابستيمولوجي إلى البيداغوجي ، 13-14.

هذا العالم اللساني لأن يكون في موقع أو موضع يمكنه من وضع قواعد بكيفية موضوعية عملية .

الصفات العامة للغة :

تمخضت تجارب العلماء عن وضع خصائص عديدة للغة قادرة على وصفها وصفا دقيقا ، وهذه الصفات هي : ([1])

أ- **اللغة أصوات :**

تظهر حالة اللغة كصوت بوضوح من خلال التجربة العامة لكل البشر في الكلام والإصغاء ، وهذه التجربة تميز بين النظام الصوتي والنظام الكتابي ويأتي النظام الصوتي في المرتبة الأولى بينما يتفرع النظام الكتابي عن النظام الأول بوصفه ترميزا له .وقد عدّ عالم اللسانيات الرموز الكتابية في المرتبة الثانية لأنها أنظمة كتابية لها وجوهها الخاصة المعينة.وهكذا فبالرجوع إلى اللغة على أنها أصوات في المرتبة الأولى يستفيد عالم اللسانيات من حقيقة أن من الكائنات البشرية تنتج أصواتا كلامية من خلال أداة مشتركة بين الجميع هي الوسيلة الصوتية العاملة في الجهاز التنفسي والجهاز البلعومي والحلقومي ثم الجهاز الأنفي.

ب- اللغة تسلسل طولي متعاقب :

تدل هذه الصفة على أن اللغة تسلسلية طويلة متتالية من خلال الجهاز الصوتي الذي له وظائف أخرى أيضا مستقلة عن عملية الكلام .لذا كان لزاما أن نمثل اللغة بدقة من خلال وضع رموز منعزلة لكل صوت ثم ترتب هذه الرموز في تسلسل وتتابع يوازي تسلسل النظام الصوتي المتتالي أيضا .

وللنظام الكتابي أشكال عديدة فمثلا يبدأ النظام الكتابي للغات السامية من اليمين إلى اليسار مثل اللغة العربية.أما نظام مجموعة اللغات الأوروبية فيبدأ من اليسار إلى اليمين مثل

---

[1]- انظر م ن ص 45 وما بعدها

الفرنسية. بيد أن نظام مجموع اللغات الهندوصينية فيبدأ من الأعلى إلى الأسفل كاللغة الصينية مثلا.

ج- اللغة نظام :

يتراوح عدد الرموز المطلوبة لتمثيل اللغة بين اثني عشر حرفا وخمسين حرفا والمقصود باللغة أنها نظام هو ن هناك عددا محدودا من الوحدات اللغوية الرمزية التي يمكن أن تجتمع فقط في عدد من الطرق المحددة لتنتج هذا الكل الذي نسميه: [اللغة] .

والتلاحم بين النظام الصوتي والنظام الكتابي يرسم لنا إطارا واضحا يساعدنا على وصف اللغات وصفا دقيقا ومقارنتها مقارنة دقيقة سواء على المستوى الصوتي أم على المستوى النحوي : فكلمة طالب: أصوات متسلسلة متجانسة يمكنها أن تكون عربية مقبولة في اللسان العربي إذا أضفنا جزءا نحويا إلى آخر الكلمة مثل :طالبة فإن هذا الجزء النحوي يجعلها مقبولة كذلك .بيد أننا لا نستطيع زيادة جزء نحوي آخر إلى كلمة طالبهم لأنها حينئذ تكون قد خرجت عن نطاق اللسان العربي .

د- اللغة نظام الأنظمة :

للغة نظام صوتي متناسق متجانس، ونظام نحوي منظم ، فكل نظام من هذين النظامين له وحداته المناسبة وقواعد التي تتركب أو تأتلف أو تنتظم في تنسيق مترابط مقبول، وبعض الوحدات اللغوية لا يأتلف مع وحدات لغوية أخرى لأسباب صوتية ونحوية ودلالية عديدة .وهكذا فاللغة نظام الأنظمة التي تحدث من وقت واحد، ولكن علماء اللسانيات يميزون بين كل نظام منها من أجل للتحليل اللغوي الدقيق.([1])

---

1 – انظر د. عبد السلام المسدي ،اللسانيات من خلال النصوص ، الدار التونسية للنشر ط1 ، 1984م ص 53- 54

هـ- اللغة معنى :

تعد العلاقة ثابتة بين الأصوات المختلفة في اللغات وبين المحيط الثقافي لتلك الأصوات لقد أخذت الدراسات اللغوية طابعها العلمي بعد النهضة الأوروبية ([2]) .وقد كانت اللغتان اليونانية واللاتينية الحامل المادي لحضارتي اليونان والرومان القديمتين ، ونظرا لهذه الأهمية اتجهت الدراسات إلى بحث اللغتين المذكورتين من أجل كشف خصائصها : الصوتية والتركيبية والدلالية للدخول في البنية العميقة للنص القديم .

وبهذا اعتمدت الدراسات المذكورة على اتخاذ اللغة وسيلة لمعرفة البنية الفكرية والاجتماعية والحضارية، وكانت توصف(بالفيلولوجيا)Philologie بصفة القدم وذلك لتعاملها مع النصوص القديمة ؛ فاتخذت اللغة وسيلة وليست غاية في حد ذاتها . وكان هدفها في المجال الإجرائي شرح النصوص القديمة، وتفسير محتواها لمعرفة قضايا أخرى خارجة عن بنية اللغة المعنية .

وعليه كان الهدف الإجرائي للفيلولوجيا يقصد:

1- النصوص القديمة .

2- الآثار التاريخية القديمة(تفسير للرموز الأثرية) .

3- تحقيق المخطوطات([1]).

---

[2] ـ مصطلح النهضة Renaissance مفهوم أوروبي محض معناه اللغوي الانبعاث أو الولادة من جديد يدل عل تلك الفترة الانتقالية التي حدثت في أوروبا بين العصور الوسطى والعصر الحديث أي منذ القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر للميلاد .وقد انبعثت حركة النهضة من إيطاليا التي تمثل أصل الحضارة الرومانية وانتشرت بعد ذلك في باقي الدول الأوروبية متميزة بازدهار العلوم والفنون وظهور المفاهيم الكلاسيكية وقد أطلق على الدراسات اللغوية المنجزة في هذا العصر اسم لسانيات النهضة التي عرفت نشاطا لغويا دار حول إحياء اللهجات الأوروبية واكتشاف لغات جديدة وتقنين القواعد واصطلاح أنظمة الكتابة والتهجئة والاعتناء بالآداب وركزت الدراسات على دراسة اللغات الآرية والشرقية لارتباطها بتراث عميق عريق.انظر أحمد مومن اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2002، ص64 .

[1] - انظر د. أحمد خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها، ، ص18 .وكذا د.علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، دار - نهضة مصر للطبع والنشر ،ط9 القاهرة ،(د.ت)، ص14-15 .

وبعد أن استكشف الأوروبيون اللغة السنسكريتية توسع مجال البحث اللغوي ليشمل المقارنة بين اللغات وتطورت التسمية تبعا لذلك فصارت تسمى:(الفيلولوجيا المقارنة) إذ بدأت الإرهاصات الأولى للمقارنة من سنة 1786م التي اكتشف فيها المستشرق الأنجليزي [**وليام جونز William jons:1764-1794م**] اللغة السنسكريتية : لغة الهنود القدامى (الحامل المادي للكتاب المقدس الفيدا)وهو حدث هام في مجال البحث اللغوي آنذاك لأنه نبّه الدراسيين إلى التشابه الموجود بينها وبين اللغة اليونانية واللاتينية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى([2]). وذلك في المحاضرة التي ألقاها سنة 1786م في مدينة [كلكوتا] تحت إشراف الشركة الأسيوية أقر فيها بأن السنسكريتية أحسن من الإغريقية وأغنى من اللاتينية وأشار إلى التقارب بينها من ناحية الأصول الفعلية أو الأشكال النحوية ([1]) مكتشفا عنصرين أساسيين في دراسة الأسر اللغوية،الأول: فكرة القرابة اللغوية ،الثاني : فكرة الصنف البدئي الذي اندثر أو لم يسبق منه إلا القليل([2]) . كما ساعد هذا على ربطه العقل الإنساني في اللغة والأصوات من خلال آثار العالم الهندي(بانيني Panini) في القرن الخامس أو الرابع ق.م.

ولقد كان الدافع إلى المنهج المقارن في البحث شعور بعض الجماعات البشرية بنبل أصلها وشرف عرقها معتقدة من منظور عرقي أو ديني أن لغتها هي الأصل للغات البشرية ، ومن هذا المنظور نجد اليهود يعدّون العبرية أصل اللغات في إطار هذه الخلفية لأنها لغة مقدسة،وقد ساد هذا الاعتقاد لدى (الكلتيين les celtes) ([3]) الذين دافعوا باستمرار عن لغتهم بدافع عرقي وعدّوها أم اللغات الأوروبية ؛ لذلك أسس (الكلتيون) أول مجمع لغوي عام 1805م. و(الكلتية هي لغة Bretagne الفرنسية وولز الإنجليزية واللهجات الاسكتلندية).

وقد عمق هذا التوجه الإحساس بأهمية البحث في العلاقة العضوية بين اللغة والنوع العرقي والعقلي للشعوب الناطقة بها.وعليه ظهر عدد غير قليل من المفكرين وجهوا عنايتهم

---

[2] - انظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 61.

[1] - جورج مونان ، تاريخ اللسانيات باريس 1970، ص 160.

2- انظر د. زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التطبيقية والعامة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص28

[3] - انظر د. نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 5

إلى البحث عن العلاقات التركيبية والوظيفية للغات وعمدوا إلى ربطها بالخصائص العرقية التي تنطق بها. وكان من هؤلاء المفكرين«إرنست رينان»الذي أصدر حكما قاسيا على الشعوب السامية وعقلياتها وصفاتها الخلقية وذلك بناء على دراسته للغة العبرية .وقد نتج عن هذا الاهتمام تصنيف اللغات بحسب نمطها الوظيفي والتركيبي الذي تتميز به هذه اللغات آنذاك وصنفوها إلى ثلاثة أنواع :(4)

تصنيف اللغات.

1-اللغات الفاصلة «غير المتصرفة» Langue isolantes : وهي اللغات التي لا يتغير فيها جذر الكلمة فيها مهما كان السياق ، تلازم فيها كل كلمة صورة واحدة وعلى معنى ثابت لا يتغير . أما وظيفتها التركيبية والصرفية فتتحدد حسب الموقع الذي تحتله الكلمة في سياقها.ويتعلق هذا باللغة الصينية التي يظل ضمير المتكلم في حالاته الإعرابية المختلفة محافظا على بنيته الصوتية المميزة ولا يتغير بتغير الدلالات والوظائف لأن الذي يدل على وظيفته التركيبية هو موقعه في السياق . سميت [غير المتصرفة] لعدم تصرف كلماتها صرفيا أو بنويا ولعدم تغير معناها . ويطلق عليها [اللغات العازلة] لأن أجزاء الجملة فيها خالية من روابط دالة على العلاقات فيها.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن مبدأ اللغة البشرية هو **[اللغات الفاصلة أو غير المتصرفة]** وحين تطورت بعض الشيء نعتت **[لغات لصقية]** ثم صارت مع الاستعمال وقطع أشواط في التداول والتوظيف في حالتها المتطورة كما هي عليه المتطور منها الآن ؛ فسميت على سبيل التصنيف **[لغات متصرفة]** .

2- اللغات اللاصقة أو اللصقية أو الوصلية Agglomérrante ou Synthétiques: لا يتغير فيها جذرها الاشتقاقي ، يمكن أن نلصق في أوله أو في آخره عناصر وظيفية منفصلة تختلف في طبيعتها الوظيفية والدلالية عن السوابق واللاحق؛أي أن ناحيتي اللغة فيه : الصرفية والتركيبية يبنى تغير معنى الأصل فيه وعلاقته بغيره من مفردات الجملة على ما يشار

4- انظر د. علي عبد الواحد وافي،علم اللغة، ص 115، 116، 117،، 118. وكذا أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور، ص 79، 80.وكذا د.نور الهدى لوشن ، ص 57،58.

إليهما من حروف تلصق بهما قبلها أو بعدها. أي أن كلمات هذه اللغات تحتوي على أصول (جذور) وعلى زوائد ثابتة ؛ لذا لا يتحقق أداء وظيفتها في تغيير معنى الأصل إلا باستعمال زيادات قبلها تسمى [سوابق: Préfixes] أو بعدها فتسمى [لواحق Suffixes] وذلك كاللغات اليابانية والتركية وبعض لغات الأمم البدائية .وهكذا نجد من بين هذه اللغات من يستعمل [السوابق] يضيفها إلى الجذر لتغيير المعنى الأصلي كاللغة البنتوية Bantous (سكان القسم الجنوبي لأفريقيا الاستوائية) باستثناء قبيلتي :الهوتنتوت والبوشيمان Hottentots و Bochimans فيها . بينما تستخدم اللغات التركية [اللواحق] للغرض نفسه أو بعبارة أخرى لمساعدة الدلالة على تغير المعنى الأصل الذي تلصق به أو لإظهار علاقته بما عداه من عناصر الجملة ([1]) .

3-**اللغات المتصرفة** أو التحليلية[Analytiques] أو **Flexionnelles ou à Flexion**: وهي أخر مراحل التطور اللغوي ، تستعمل فيه هذه اللغات السوابق واللواحق والتغيرات الداخلية للجذر الاشتقاقي لتدل على العلائق الوظيفية، ويتغير المعنى في جميع هذه التحولات . يتصل أجزاء الجملة بعضها ببعض بوساطة روابط مستقلة تكون هي الدالة على علاقاتها ، وأحسن مثال على هذا : اللسان العربي الذي عده الدارسون من أرقى اللغات وأصفاها تتغير معاني كلماتها بتغير بنيتها.

تقول في مستوى الصرف: [عِلم] للدلالة على المصدر، وتقول [علّم] للدلالة على تعدي الفعل .و[عالم] للدلالة علو الحدث ومن قام به. و[أعلم] للدلالة على فعل الطلب.و[العلامة]للدلالة على وسيلة العلم .

أما في مستوى التركيب فإن عناصر الجملة تنتظم بروابط مستقلة دالة على مختلف العلاقات نحو: (التنوين) في الاسم علي للدال على الفاعلية، ونحو(الواو) العاطفة للنسق المشيرة إلى عطف عنصر على أخر ، و(من) الدالة على المكان الذي بدئ فيه الفعل ، ونحو (إلى) الدالة على الانتهاء: وذلك في الجملة:[**قدم علي وأحمد من البادية إلى المدينة**].وينسحب هذا

---

[1]-انظر د.علي عبد الواحد وافي،علم اللغة ، ص 116.

على اللغات السامية والهندوأوروبية ([1]). وعدوا اللغات الفاصلة من أدنى اللغات .أما اللغات اللاصقة فاعتبروها وسيطا بين الصنفين ، وقاموا بمقارنات بين هذه الأصناف ومجتمعاتها ووصلوا إلى محصلة مفادها أن :

أ- اللغة الفاصلة تقابل المجتمع البدائي القائم على وحدة العائلة .

ب- اللغة اللاصقة تقابل أطوار البداوة .

ج- اللغة المتصرفة تقابل الحضارة العالية الراقية ([2]) .

تصنيف اللغات عند العلماء ([3])

تصنيف أدلنج - Adeling

يقوم هذا التصنيف على :

ا- العامل الجغرافي(حسب المناطق والقارات) .

ب- ينظر إلى الأوروبيين على أنهم خليط من الأجناس غير القارة مثل (جماعة الباسك والكلتيين والجرمانية) .

ج- يركز على العلاقة السلالية بين السلافين والليتوانيين والبانيين .

د- يقم على الفكرة القديمة المميزة بين اللغة الصافية واللغة المختلطة .

تصنيف شليجل: Scheigel :

تمسك شيجل بالسنسكريتية وعدها النموذج المثالي للمقارنة وعلى هذا يميز في تصنيفه بين نوعين من اللغات كنا قد أشرنا إليها قبل وهي :

1- انظر م ن ، ص 115

2 – انظر أنيس فريحة، نظريات في اللغة،ص 30 .وأحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1994م، ص 7.

3- انظر ر.هـ .روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ترجمة د. أحمد عوض، ص 275 ،ص288 و ما بعدها.وكذا احمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص85 وما بعدها . وأحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص 7 وما بعدها.وانظر د. علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص 195، 196

– لغات متصرفة تخضع لنظام السوابق واللواحق للدلالة على الوظائف الصرفية والنحوية .- لغات غير متصرفة : وهي تخلو من نظام السوابق واللواحق إذ تفتقر إلى العلامات الدالة على الجنس والعدد والحالات الإعرابية ، في لغات بدائية كاللغات الهندية الأمريكية (الهنود الحمر) واللغة الصينية. أما السنسكريتية فتعد في نظره أنبل اللغات لأنها بحسبه لغة أصحاب العقول النيّرة لذلك فهي لغة منتظمة منذ نشأتها الأولى.لقد خاض [شليجل] في التصنيف الجغرافي والمقطعي(أحادية المقطع وثنائيته) زيادة إلى التصنيف القديم المميز بين اللغات الصافية والمختلطة.ويظهر أن تمييزه بين اللغات المتصرفة(التحليلية) واللغات غير المتصرفة (الفاصلة أو العازلة)واللغات اللصقية قد انطلق فيه من البنية الداخلية للغة.وهي من أبرز النظريات في تناول خواص فصائل اللغات.

راسميس راسك :[R .Rask 1787-1832م].

وهو دنماركي 1787 م- 1832 انصرف إلى البحث عن العلاقات السلالية بين اللغات الايسلندية الجرمانية لليونانية اللاتينية ، لليتوانية ، الأرمنية وكان يقر بوجود علاقات تاريخية بين هذه المجموعات واللغة الإيرانية والسنسكريتية .

همبولت HUMBOLDT : 1767 – 1835 م :

ينطلق من مقارنته بين اللغات من مبدأ أن اللغة هي الوسيلة التي يتكون بها الفكر عند مجتمع ما ويرى تنوع اللغات من تنوع العقليات، وبأن تفوق لغة من اللغات في بنيتها الصوتية والتركيبية والدلالية دليل على التفوق الذهني والعرقي للمجتمع اللغوي.

فرانز بوب : 1791ـ 1867م.

كتب مذكرة سنة 1816 في نظام تصريف للغة السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية المعروفة في اللغات الألمانية واللاتينية والفارسية والجرمانية القديمة وكان يمثل الانطلاقة الأولى للقواعد المقارنة.

أوغست شلايشر: Schleicher 1821 – 1868

تأثر بمنهج داروين في كتابه أصل الأنواع الحية (1859 م)وتأثر أيضا بـفلسفة [هيجل] وقد حاول الجمع من منظور تأثره بداروين وهيجل بين النظرية الجدلية في التاريخ لهيجل وبنظرية الانتقاء الطبيعي لداروين في بناء نظرية لغوية متميزة .ذكر ر. هـ روبنز فقال :« وقد اعتقد شليشر أن نظرية داروين مناسبة بوجه عام للتاريخ اللغوي مثلما هي مناسبة للمملكة الحيوانية والمملكة النباتية، ورأى أن انتشار اللغات المختلفة على سطح الأرض واتصالها وصراعها يمكن أن يشبه بالصراع من أجل البقاء في دنيا الكائنات الحية ، وفي هذا الصراع كانت اللغات الهندوأوربية هي الظافرة»[1](وعلى هذا الأساس فاللغة عنده جهاز عضوي ينشأ على الصعيد التاريخي ، ينمو ويتطور، ثم ينحل ويموت.وشليشر اعتبر الأنماط اللغوية الثلاثة السائدة :النمط العازل (اللغة الفاصلة غير المتصرفة)والنمط الإلصاقي (اللصقية أو الوصلية)والنمط التصريفي(اللغات المتصرفة أو التحليلية) اعتبرها ممثلة للمراحل التاريخية في تطور اللغات تجاه غايتها العليا في التنظيم لأنه عد الأصناف التركيبية اللغوية السائدة الموجودة نتاج التحولات والتطورات التاريخية المتعاقبة بكيفية شبيهة للأنواع الموجودة في عالمنا البيولوجي الخاضعة فيه لتطور متعاقب كالأسماك والزواحف والطيور والثدييات.)[2](

وهكذا توصل الباحثون في إطار هذا التصنيف اللغوي إلى تصنيف اللغات عالميا إلى أسر حسب السلالات اللغوية منها:السلالة الهند وأوروبية التي تتفرع إلى ثمانية فروع([3])

1- الأرية وفيها فرعان : الهندية الإيرانية

2- اليونانية (القديمة والحديثة)

3- الإيطالية(اللاتينية)الإيطالية الحديثة والرومانية (لغة رومانيا الحديثة) والفرنسية- والإسبانية- والبرتغالية.

4- الجرمانية : وتتفرع إلى ثلاثة فروع :

---

[1] ـ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ترجمة د. أحمد عوض ، ص 294

[2] ـ انظر م ن ، ص295

[3] - انظر د. علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص 197 وما بعدها.

أ- **الشرقية**:(اللغة الجوتية) لغة قبائل الحوت وهو شعب قديم كان يسكن جرمانية الشرقية .

ب- **الشمالية** : الأيسلندية- الدانمركية- السويدية- النرويجية .

ج- **الغربيــة** : الإنجليزية- الهولندية الألمانية .

5- البلطيقية : السلافية وتتفرع إلى فرعين :

أ- البلطيقية :الليتوانية البروسية القديمة .

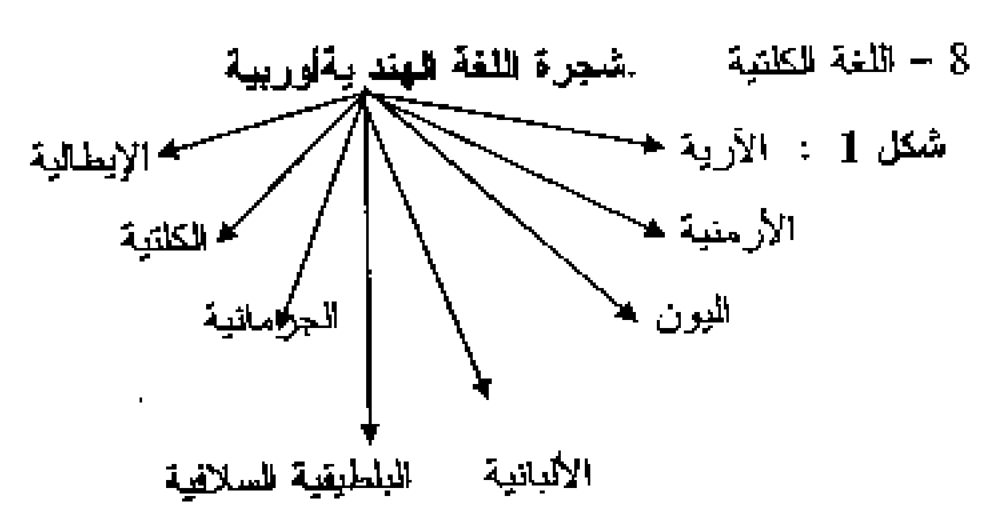
ب- السلافية :القديمة-الروسية-البولونية التشيكية-السربية لغة السراب- الكرواتية - البلغارية .

6- اللغة الألبانية .

7- اللغة الأرمنية.

8 – اللغة الكلتية

شكل 1 : **شجرة اللغة الهندية أوربية**



علم اللسانيـات

في لفظ اللسان:

ورد لفظ اللسان في القرآن الكريم للدلالة على النظام التواصلي المتداول بين أفراد المجتمع البشري قال عز وجل: ﴿**ومِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكُمْ وألوانِكُمْ** ﴾[الروم:22] وقوله تعالى:﴿ **ومَا أرسلْنَا مِنْ رسُولٍ إلا بِلسانِ قومِـــــهِ ليبيّنَ لهم** ﴾[إبراهيم: 04]وقوله: ﴿ **لتكونَ مِنَ المنذرِينَ بلسانٍ عربيٍّ مُبِينٍ** ﴾[**الشعراء : 195**].

استعمل اللسان في التراث الفكري العربي الدلالة على النظام التواصلي المشترك بين أفراد المجتمع في البيئة اللغوية المتجانسة، وقصدوا باستعمالهم اللغة اللهجة المعينة أو حالة نطقية مخصوصة، وقد شاع استعمال اللسان بصفته موضوعا للدراسة العلمية اللغوية لدى الفارابي(ت 339 هـ) فضم علم اللسان عنده علوم اللغة مع غيرها من العلوم والمهارات[1]: وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى : علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة ، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وقوانين الألفاظ تكون مركبة وقوانين تصحيح الكتابة ، وقوانين تصحيح القراءة..... " وقد أفرد ابن خلدون (ت808 هـ) فصلا في المقدمة عنونه (في علوم اللسان العرب) وأدرج تحت هذا العنوان : علم النحو- علم اللغة-علم البيان-علم الأدب.[2]

اللسان في جوهره أصوات والأصوات علامات تترابط منسجمة في تكامل تشكل بنية هي البنية الصوتية التي تقترن بمدلولها لتحقيق العملية الإبلاغية عن طريق البنية التركيبية.

في مصطلح اللسانيات : -

ظهر أولا في ألمانيا linguistik ثم استعمل في فرنسا بدءا من عام 1826م ثم في إنجلترا ابتداء من سنة 1855م.

إن اللسانيات دراسة علمية وموضوعية للسان البشري من خلال الألسن أو اللغات الخاصة بكل مجتمع،فهي دراسة اللسان البشري، يعوزها التميز بالعلمية والموضوعية.

فالعلمية : نسبة إلى العلم وهو المعرفة وإدراك الشيء على ما هو عليه ودراسة مركزة على موضوع محدد وذات طريقة ثابتة ، تختم بنتائج وقوانين.

والعلم نوعان: نظري يفسر الظواهر ويبين القوانين التي تحكمها وتطبيقي يطبق القوانين النظرية على الحالات الجزئية.

أما الموضوعية:فنسبة إلى الموضوعي، وهو مشتق من الموضوع، والموضوعي كل ما تتساوى حالاته عند جميع الدارسين رغم اختلاف الزوايا التي يتناولها من خلال الموضوع

1- إحصاء العلوم ، تحقيق عثمان أمين ، 1948م، ص47-50

2- انظر المقدمة ، دار العودة ، بيروت [د.ت]، ص453وما بعدها.

وقد أشرنا فيما سلف إلى الخصائص العلمية والمقاييس التي تتأسس عليها الدراسة العلمية نرى من المفيد التذكير بها وهي:

1ـــالملاحظة .

2ـــ التجريب.

3ـــالاستقرار المستمر.

4 ـــالاستدلال الفعلي.

5ـــوالعمليات الافتراضية والاستنتاجية.

6ـــاستعمال النماذج والعلاقات الرياضية .

هدف البحث اللساني

تتوخى الدراسات اللسانية تحقيق الغايات التالية :

1- معرفة أسرار اللسان باعتباره ظاهرة إنسانية عامة في الوجود البشري.

2- كشف القوانين التي تتحكم في بنيته الجوهرية.

3- البحث عن السمات الصوتية والتركيبية والدلالية الخاصة لوضع قواعد كلية.

4- تحديد خصائص عملية التلفظ وحصر العوائق العضوية والاجتماعية التي تعوق سبيلها .

لسانيات دي سوسير

مفهوم البنيوية: نريد قبل التعريف بدي سوسير وآثاره تحديد مفهوم بعض المصطلحات التي تهمنا في هذا السياق :

البنية: جهاز يعمل حسب قوانين تحكمه ، ولا تنمو هذه البنية أو تبقى إلا بهذه القوانين نفسها.إن البنية عالم مكتف بذاته وهي ليست ركاما من العناصر التي لا يجمعها جامع وإنما العناصر التي تكوّن البنية عبارة عن كل يتشكل من ظواهر متضامنة يرتبط كل منها ارتباطا عضويا ببقية الظواهر ولا قيمة لهذا الكل إلا في إطار العلاقة التي تربطه بها وبواسطتها. وهذا معناه أن اللغة لا يتسنى لها أن تدرس باعتبارها ظواهر منعزلة لأنها تحدد

داخل الجهاز الذي ينظمها ويخضعها لقوانينه . إن قيمتها لا تكمن في كونها ظواهر منعزلة ولكنها تكمن في أنها تمثل عناصر بنية معينة ،والبنية لا تحدد إلا ضمن سلسلة من العلاقات بين العناصر .وليست هي العنصر ولا هي مجموعة العناصر وإنما العلاقات القائمة بين هـذه العناصر ([1]) .

وعلى هذا كان من طبيعة المنهج أن تدرس البنية أولا لأنهـا الأصـل وعناصـرها الفروع عليها . وإن البنية وحدة تبنى على قاعدة أساسية تتمثل في أنها كلّ قبل أن تكـون أجزاء هذا الكل. وتنظم العناصر أو الأجزاء التي تكون هذا الكلّ تنظيما شكليا يخضع لجملة من المبادئ الثابتة ،ومن ثمة فإن هذه الأجزاء أو العناصر تؤدي وظيفة معينة داخـل هـذه البنية.وهذه الوظيفة هي التي تمنح أو تكسب التنظيم الشكلي لأن يكون بنية لغوية .

البنيوية :

يطلق مصطلح البنيوية على مجموعة من الدراسات اللسانية التي قام بها علماء اللغة في بداية القرن العشرين وهي دراسات جعلت من اللسانيات علمـا موضـوعه اللـسان واللغـات الطبيعية الفطرية .

وقد تطلق اللسانيات البنيوية على اللسانيات التوزيعيـة ذات الاتجـاه البلومفيلـدي ([1]) بخاصة وعلى اللسانيات الأمريكية الحديثـة ذات الاتجـاه التوليـدي وقـد عـرّف يلمـسلاف Yemslev اللسانيات البنيوية بقوله:« إن اللسانيات البنيوية يعنى بها مجموعة مـن البحـوث

1- انظر د ، نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ، ومناهج البحث اللغوي ، المكتبة الجامعية الإسكندرية 2000 م ، ص 301 .

1 – نسبة إلى ليونارد بلومفيلد صاحب المذهب L. Bloomfield وهو لساني أمريكي (1887 م 1949 م درس منذ 1909م بجامعة شيكاغو الألمانية ثم اللسانيات العامة ، واهتم بعد ذلك باللغات الهند أوروبية خاصة وظائف الأصوات ومظاهر الكلم أو الصرفيات من آثاره : (مدخل لدراسة اللغة 1914) وكتاب: (اللغة) 1933 م ويعد دستور الدراسة اللسانية الأمريكية حتى عام 1955 م ، قد عمل على نقد المذهب الذهني– الذاتي لإرساء منهج وضعي اختباري انظر، د. عبد السلام المسدي ، الأسلوب والأسلوبية ، الدار العربية للكتاب ، ط2 – 1982 ،ص242،243.

التي تقوم على علل فرضية يكون من المشروط علميا طبقا لها أن توصف اللغة باعتبارها جوهرا كيانا مستقلا من العلاقات الداخلية » ([2]).

ونلفت الانتباه إلى أن البنيوية –حاليا– في إطارها العام تمثل مجموعة المحاولات التي تحلل الوثائق المتراكمة والعلامات والآثار والإشارات التي تركتها الإنسانية سابقا أو التي مازالت تكونها يوميا بعدد متزايد حولها في مجالات متعددة كالرياضيات والأنتروبولوجيا والفيزياء والبيولوجيا (علم الأحياء) وعلم النفس، وعلم الاجتماع. ولكننا ونحن بصدد الدرس اللساني قد حصرنا الأمر لنستشف هذا (المنهج البنيوي) من خلال المدرسة اللغوية البنيوية. فكيف ظهرت اللسانيات البنوية ؟

ظهرت البنيوية في القرن العشرين (ق 20) ويعود الفضل في ظهورها إلى فرديناند دي سوسير الذي يعده كثير من الدارسين أبا للسانيات البنوية ؛ لكن بعض اللسانيين مثل جاكبسون ([3]) يرى أن اللسانيات البنيوية تعود إلى أصول أقدم من ذلك ؛ فهي ترتبط عنده بالأمريكي(شارل بيرس 1839 م–1941).وكما ذكر جون ليونز John Lyons « أن المذهب البنيوي كان الصيحة التي جمعت بين مدارس مختلفة في علم اللغة في القرن العشرين([1]) وهو يوجه إلى أن المدارس اللغوية الحديثة منذ دي سوسير إلى نعوم تشومسكي تنتمي إلى البنيوية بكيفية أو بأخرى لاعتقادها بأن اللغة نظام وتتكون من نظم لأن الأصوات في كل لغة تأتلف بطريقة اصطلاحية لتشكل وحدات صرفية وتراكيب دالة على معان وهذا يحقق في المحصلة النظم في اللغة الذي ينبني على النظم في الأصوات والنظم في وظائفها وعلى نظام وحداتها

---

[2] – Louis hislmeslev لساني دانمركي (1899 م 1965 م) درس في باريس على Meillet وشارك في تأسيس النادي اللساني بكوبنهاغ سنة 1931 م عمل على وضع نظرية بنيوية شاملة للظاهرة اللغوية ، من آثاره مقدمة في النظرية اللغوية – مقدمة في اللغة .. وغيرها.

[3]– ولد بموسكو عام 1896 م ، اهتم باللغة واللهجات والفولكلور واطلع على أعمال دي سوسير وهيسارل Husserl وفي عام 1915 أسس مع بعض الطلبة النادي اللساني بموسكو ، وعنه تولدت مدرسة الشكلانيين الروس –وفي عام 1920 ذهب إلى تشيكسلوفاكيا وأعد الدكتوراه سنة 1930 بعد تكوين النادي اللساني ، ببراغ سنة 1920 م ، وهو النادي الذي عرف مخاض المنهاج البنيوية في صلب البحوث الإنشائية والصرفية ووظائف الأصوات.

[1] - نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة وتعليق د. حلمي خليل دار المعرفة الجامعية ، ج م ع 1995م ، ص 64.

الصرفية للكلمات أو كما يشيع في الدرس اللساني الآن : المورفيمات التي تقابل في المدرسة الفرنسية من مارتني بالمونيمات .وينبني أيضا على النظام النحوي والنظام الدلالي ليشكل أخيرا نظام اللغة .

التعريف بدي سوسير [Ferdinand de Saussure - 1857م 1913 م] :

ولد في خريف 1857 م في جنيف بعد عام من مولد (سيجموند فرويد) Sigmand Froudالنمساوي في 1856م([2]) وقبل عام واحد من مولد إميل دوركايمEmile Durkheim ([3]). ولقد كان لهم ثلاثتهم(فرويد– دي سوسير– دوركايم) دور بارز في توجيه مسار العلوم الإنسانية وتغيير المفاهيم القديمة والمناهج التقليدية.انتقل دي سوسير بعد تعليمه الأولي في جنيف إلى برلين وليبزيغ بألمانيا متابعا دراساته، وبقي هنالك من عام 1876 م إلى 1878 يدرس اللسانيات التاريخية والمقارنة. وقد تتلمذ على بعض النحاة الجدد مثل (أستوف Osthoff ولسكين Leskeien) ولكنه خالفهم في تصورهم العام بخاصة في نظرتهم إلى اللسانيات . أقام في باريس بين عامي 1880–1891 م وتبوأ فيها منصب مدير الدراسات بالمدرسة

---

2 – توفي فرويد سنة 1939 م وهو طبيب مختص في الأعصاب، وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، وقد أحدث تغييرا كبيرا بما أكتشفه في المعرفة الإنسانية في اكتشافاته النفسية الثرية، من مؤلفاته تأويل الأحلام– (محاولات في علم النفس التحليلي–ثلاث محاولات في النظرية الجنسية): انظر د.عبد السلام المسدي،الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ط2 – 1982 م ص 250 .

3– وهو مؤسس علم الاجتماع الحديث وهو عالم فرنسي : بدأ علم الاجتماع في بداية القرن العشرين يستقل عن العلوم الإنسانية لذا أعلن (دوركايم) عدم تبعية علم الاجتماع لعلم النفس بل هو علم قائم بذاته لأنه يتناول بالدراسة جملة من الظواهر لا يشاركه فيها علم آخر. وهكذا حدد (دوركايم) أس نظرية علم الاجتماع والقواعد اللازمة لدراسة موضوعاته من خلال كتابه " قواعد المنهج في علم الاجتماع " وكان هدفه في ذلك التمكن من الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية ولتحقيق ذلك لابد من تحديد مجالها تحديدا واضحا باعتبارها أشياء مؤكدا على وجوب أن تكون كذلك رغم اعتراضات معاصريه الذين فهموا منه بأنه يريد أن يشبه حقائق العالم الخارجي بحقائق العالم الخارجي ؛ بيد أنه لا يقصد الظواهر الطبيعية معرفا الشيء بقوله " إن الشيء يقابل الفكرة بمعنى أن معرفتنا له تأتي من الخارج على حين أن معرفتنا بالفكرة تأتي من الداخل .والشيء هو كل ما يصلح أن يكون مادة للمعرفة بشرط إلا تسمح له طبيعته بأن يندمج في العقل الذي يدركه .. فمعالجة مجموعة الظواهر على أنها " أشياء " ليس معناه أننا ندخلها في مجموعة الكائنات الطبيعية وإنما المراد هو أننا نسلك معها مسلكا عقليا خاصا أي ندرسها ونحن متمسكون بكوننا نجهل كل شيء عن حقيقتها وبأننا لا نقدر الكشف عن خواصها الذاتية أو الأسباب المجهولة التي تخضع لها عن طريق الملاحظة الداخلية مهما بلغت طريقة هذه الملاحظة من دقة .انظر د.محمد حسين عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ، دار العلوم –القاهرة ، (د. ت) ، ص295 – 296 .

التطبيقية للدراسات العليا ، وكان بموازاة ذلك يحاضر الطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة .ورجع عام 1891م إلى جنيف (مسقط رأسه) يدرس في جامعتها إلى أن توفي عام 1913 م .

وقد تقدم عام 1980م بأطروحة لنيل الدكتوراه حول:"حالة الجر المطلق في السنسكريتية وقام قبل ذلك ببحث يحمل عنوان:" مذكرة في النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندو- أوروبية " وذلك عام 1978 م وماعدا هذين البحثين فإن كان ما نشر له كان بعد وفاته باستثناء مجموعة مذكرات ومقالات وملاحظات نشرت في أوقات متباعدة وقد جمعت بعد وفاته في كتاب مجموعة المقالات العلمية لفرديناذ دي سوسير Recueil de publications scientifiques de F .de Saussure

وصدرت مؤلفاته المشهورة بعد وفاته بثلاث سنوات أي عام 1916 م بمبادرة من صديقيه [شارل بالي Chark Bally] و[ألبار سيشيهاي Olbert sechehay] اللذين جمعا محاضراته التطبيقية التي كان يقدمها للطلبة بجامعة جنيف بين 1906 م-1911 م وقاما بتصنيفها وتبويبها طبعا ذلك في شكل الكتاب المعروف الآن: "محاضرات في اللسانيات العامة" Cours de linguistique générale " .

لقد نال هذا اهتمام الدراسين والمفكرين آنئذ- إن نقل بأنه يزال حتى اليوم موضع نظر ومدارسة - رغم الدمار الفكري والحضاري الناتجين عن الحرب العالمية الأولى. ومما يدل على هذا الاهتمام أن جملة من الدراسيين اللغويين قد ذكروا هذا الكتاب وتحدثوا عنه منهم :

- ميّى (Meillet 1916 - 1917)
- غرامُون (Gramont 1917)
- جسبرسن (Jespersen 1917)
- سيتيهاي (Sechehay 1917)
- وماروزو (Marouzeau 1923 م)
- وبلومفيلد (Bloomfield 1924 .. وغيرهم .

وكان للطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 1916م تأثير مهم وانتشار ملحوظ في الثقافة الإنسانية على مختلف أنواعها ، يبدو ذلك مثلا في أول ترجمة له إلى اليابانية عام 1928م على يد Kobayachi.وكانت طبيعته المنقحة الثانية سنة 1940 م،وتلتها الطبعة الثالثة بمقدمة جديدة سنة 1941 م وكانت الطبعة الرابعة عام 1950م وهذا في اليابان.

وكانت الطبعة الثانية في برلين ألمانيا سنة 1967 م.

وترجم إلى الروسية عام 1933م وإلى الأسبانية عام 1945م كطبعة أولى فالثانية عام 1955م فالثالثة عام 1959م فالرابعة عام 1961م ([1]) وترجم إلى الإنجليزية سنة 1959 م،وإلى البولونية سنة 1961م ،وإلى الإيطالية سنة 1967 م .

إن هذا الكتاب لم يترجم إلى اللغة العربية إلا في مطلع الثمانيات في شكل ترجمات متعددة بعد سبعين سنة من نشره ولا ريب في أن مثل هذا التأخير يبعث الحيرة ويثير التساؤل لأنه يكشف بعد البحث اللغوي العربي عن خضم البحث المعرفي اللساني العميق المعاصر .فلابد من هية حقيقية تتكامل فيها جهود المؤسسات العلمية البحثية العربية والإسلامية وتتعاضد أعمال جامعاتها ومجامعها اللغوية وباحثيها وعلمائها في المنهج والرؤية والترجمة والأهداف إغناء للعلم وخدمة للتدقيق البحثي ومتابعة إفادة اللغة العربية والبحث اللساني بعامة.

وعلى أية حال يمكن القول بأن دي سوسير قضى أغلب حياته يدرّس اللسانيات التاريخية ويَدْرُسُهَا في الوقت نفسه،وبأنه لم يدرس اللسانيات الوصفية الآنية والتنظير اللساني العام الذي اشتهر بهما بعد موته إلا في السنوات الأخيرة من حياته .

وهو يوصف اليوم بأنه :أب اللسانيات الحديثة،ومؤسس المنهج الآني(الوصفي)وقد سبق شرحه،ويعد دي سوسير كذلك أول من نظر في البنيوية"([2])Structuralisme السيمياء Semiologie ([3]) .

---

[1] انظر أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية : سيقع اختزال هذه التسمية لاحقا : (د . م. ج) الجزائر، 2002 م ص 118 وما بعدها ، وانظر أحمد حساني مباحث في اللسانيات ، د . م . ج . ، الجزائر ، 1994 م ص 32 ، 33 وكذا . د . نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 300 .

لقد اكتسبت اللسانيات صفة الدراسة العلمية بظهور كتابي دي سوسير: " محاضرات في اللسانيات العامة " فمنذ ظهوره أصبحت كل دراسة لسانية تحدد من حيث ظهورها قبل دي سوسير أو بعده. وإذا كنا بصدد دراسة اللسانيات لدى دي سوسير فإنه من الأهمية بمكان أن نجيب على السؤال التالي :

معالجة القضايا اللغوية عند دي سوسير

انطلق دي سوسير من منهجية واضحة أساسها أن اللغة جهاز من العلامات أي(نظام منظومة) فقد ذهب إلى:« أنها منظومة من العلامات»([1]) وقال في موضع آخر من كتابه المطبوع :«ومادات اللغة منظومة من العلامات التي تعبــّر عن فكرة مع فإنها – هنا – تشبه الكتابة وأبجدية الصنم والبكم ،والطقوس ،الرمزية وضروب المجاملة والإشارات العسكرية والكشافة ...إلخ إنها وحسب أهم هذه المنظومات على الإطلاق »([2]) .

ويبدو أن تعريف (دي سوسير) اللغة بوصفها منظومة أو نظاما من العلامات هو تعريف بسيط وأوضح تعريف شكلي بل يظهر بأنه يعد فوق ذلك من أتم التعاريف التي ذكرها لأنها تدور جميعا في فلك التعريف السابق.وإن أدرنا تحليل هذا التعريف * فأول المتصورات الهامة فيه:(جهاز – نظام –منظومة – تنظيم).

---

[2] – سبق أن عرفنا بالبنيويـــة فاعرف ذلك .

[3] – السيمياء :علم يدرس حياة كل العلامات المستخدمة في المجتمع ومن هذه العلامات : اللغة مثلا والعادات والطقوس.. إلخ ويهدف إلى إبراز مكوناتها وقوانين نظمها والعلامات هذه فرع من علم النفس الاجتماعي وبالتالي علم النفس العام .واللسانيات حسب دي سوسير جزء من السيمياء ويمكن تطبيق القوانين التي يكتشفها علم السيمياء على اللسانيات.والعلامة عنصر أساسي في أية ظاهرة إنسانية، لذا أصبحت موضوعا محددا تتناوله مجموعة من العلوم المعارف كالفلسفة ،والمنطق، وعلم النفس ، والبلاغة ، علم الاجتماع ، والطب ، لم ترق إلى النظرية العلمية المتكاملة إلا بمجيء دي سوسير في الثقافة الفرنسية –على الأقل – الذي حاول بلورة نظرية للبحث في العلامات بأنواعها المختلفة فتناول العلامة عرضيا منطلقا من فكرة جوهرية : أنّ اللسان نظام من العلامات الدالة يشبه الإشارات وعلامات الصم البكم والإشارات البحرية .وهي كلها تتكون من علامات دالة ولا يختلف عنها اللسان إلا بوصفة أهم مظهر من مظاهرها : انظر أحمد مؤمن ، اللسانيات النشأة والتطور ص 132 ، وأحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ص 46 ،47. وكذا د. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 307 ، 308 .

[1] – محاضرات في الألسنــية العامة ، ترجمة يوسف غازي- مجيد النصر – المؤسســة الجزائرية للطباعة 1986م ص 26 ، 27 .

[2] – م ن : ص 27

لم يدرس دي سوسير اللغة على أنها مجموعة كلمات وإنما درسها أساس أنها كل يتكون من مجموعة عناصر تربطها علاقات وهذه العلاقة لا تمنح العناصر معنى في ذاتها وإنما معناها في ارتباطها ببعضها لذا فإن أي تغيير يصيب عنصرا منها يظهر أثره على سائر العناصر بل على النظام كله يقول دي سوسير: " قيمة الكل هي في أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تتأتى من مكانتها في هذا الكل أو ذاك " ثم أضاف:"ولهذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكل كأهميتها بين الجزاء فيما بينها "([3])

ويرى العناصر في هذا النظام تشبه القطع في لعبة الشطرنج فنحن حين نعوض بعض القطع المشبيه بأخرى من العاج لا ينال هذا التعويض من نظام اللعبة غير أننا إذا أنقصنا من عدد هذه القطع أو زدنا فإن هذا التغيير ينال من نظام اللعبة ([1]).

وهكذا فاللغة عنده نظام أو بنية رغم عدم استعماله لكلمة بنية في كتابه.أما ثاني المتصورات الهامة عنده في تعريفه فيتعلق بالعلامة أو بالدليل .

فالعلامة ([2]) لدى دي سوسير عنصر من عناصر الجهاز اللغـوي وهـذه العلامـة يسميها " الوحدة اللسانية "وهي مكونة من عنصرين يتصلان ببعضهما اتصالا كاملا فهمـا كوجهي الورقة يسمى أحدهما(الدال) وهو الصورة السمعية التي يتضمنها الدليل أو العلامة . ويسمى الثاني (المدلول)وهو المتصور الذهني ويسمى قديما المعنى؛ فليست العلامة هي الدال

---

[3] – م ، ن : ص 155

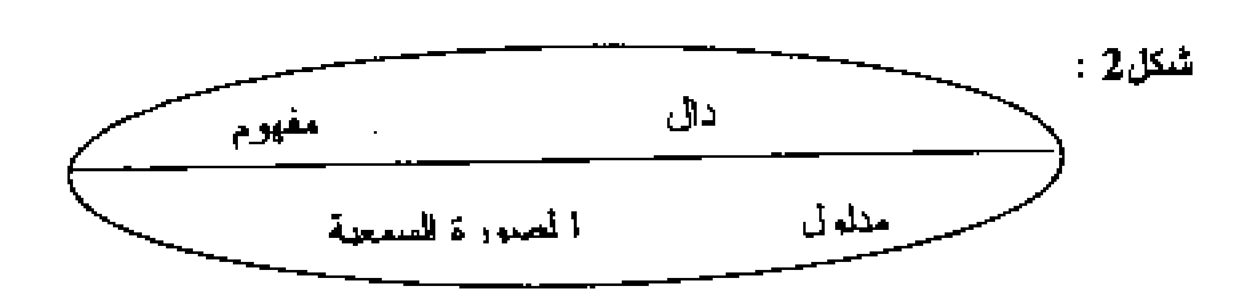
[1] – انظر د ، نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ،ص 308.

[2] – العلامة اللسانية هي الوحدة الصغرى المكونـة للغة وهي الأساس الدال للنص مكوناتها (الدال والمدلول) اللذان يشكلان على مستوى الدوال مفهوم العبارة ويشكلان على صعيد المدلولات مفهوم المحتوى والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين الأفراد وهي كما سبق تضم جانبين أساسين هما : الدال (Signifant) والمدلول (Signifié) . فالدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما أو تعني شيئا ما .والمدلول هو " التصور " أو الشيء المعني . ويرى دي سوسير أن العلامة اللغوية لا تربط شيئا هو الشيء باسم وإنما تربط "تصور" بصورة سمعية " هي البصمة النفسية للصوت وليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف .وعلى هذا تختلف فكرة العلامة عنده عن مفهومها لدى القدامى الذين زاوجوا بين الاسم والمسمى أو بين الكلمة والشيء .وهدف اللسانيات هو دراسة العلامة التي يمكن ملاحظتها كالأشياء الأخرى .وسنرجع لتوضيح هذا أكثر لاحقا .راجع أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ،ص 127 .وقد عرفها بعضهم :" العلامة ربط بين مدلول (مفهوم) وبين دال (صورة سمعية) :راجع كاترين فوك وغيره ، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ،تعريب د .المنصف عاشور (د . م . ج) الجزائر، 1984 م ،ص 21 .

وحده أو هي المدلول وحده وإنما هما معا ، وبغير هذا لا تكون ، وبعبارة أخرى لا يمكـــن الفصل بينهما.

ونشير إلى الترابط الكامل بين الدال والمدلول أي بين المفهـــوم وبـــين الـــصورة السمعية كما يلي : شكل 2 + شكـــل 3 .

شكل2 :



شكل3 :

تصور Concept

صورة سمعية image acoustique

والعلامة عند دي سوسير لا توجد بين اسم وشيء وهي فكرة كانت سائدة قبله ([1]) وجه القرآن الكريم إلى التعامل مع العلامة لتفسير دلالتها : الكونية والروحية والاستدلال بمحاضرها على غائبها .وتعامل معها علماؤنا القدامى كالقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415 هـــ) بل لقد تميز الجاحظ قبله (ت 255 هـــ) بالوعي العميق وبالرؤية العلمية النافذة في المسائل الفكرية والأدبية وبخاصة اللسانية منها ، فقد صنف الدلالات في محيطها الطبيعي والثقافي والحضاري العام فهو الذي قال".وعلى قدر وضوح الدلالة

---

1 - تعامل الفكر العربي مع العلامة من حيث هي حقيقة حسيـــة حاضرة تحيل وتوجه إلى حقيقة مجردة غائبة ويمكن أن يظهر ذلك من خلال التوجيهات القرآنية : وفي قوله تعالى:﴿ إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرُون﴾ [الرعد: 2].وقوله :﴿ إن َ في ذلك لآياتٍ للمتوسِّميـــن﴾[الحجر :75] وقوله :﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلُونَ ﴾[الرعد :04] وقوله سبحانه: ﴿وعلاماتٍ وبالنَّجم هُمْ يهتَدُونَ ﴾[النحل :04] وقوله تعالى :﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾[الحشر :02] .

وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبْيَنَ وأنـــوَرَ كان أنفع وانجح، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه "([2]) وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء:لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبه، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر على تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها وحلية مخالفة لحلية أختها وهي التي تكتشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصها وعامّها وعن طبقاتها في السّـار والضـّـار، وعما يكون منها لغوا بهـرّجا وساقطا مطرحا "([3]) ولأهمية العلامة عنده آنئـذ قال الجاحظ :" وكان الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا الكتاب ،ولكنا أخرناه لبعض التدبير "([1]) .أما ابن فارس (ت 395 هـــ) فقال : " الدال واللام أصل يدل على إبانة الشيء بأمارة تتعلمها والدليل الأمارة في الشيء " ([2]).

ونعود إلى القاضي عبد الجبار المعتزلي قال متعاملا مع العلامة :" إن من حق السماء أن يعلم معناها في الشاهد ثم يبنى عليه الغائب ([3])." وذكر الراغب الأصبهاني (ت 565 هــ) ذلك وهو يتحدث عن الفقه :" إن الفقه هو معرفة علم غائب بعلم شاهد "([4]).

ومن الألفاظ التي ذكرها علماؤنا القدامى ذكرا يرقى بها إلى المجاورة مع مفهوم السمة والإمارة والدليل التي هي ألفاظ تتعلق جميعها بالدلالة.وقد عرف علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هــ) الدليل : قال :" الدليل في اللغة هو المرشد وما به الإرشاد وفي

---

[2] – البيان والتبيين ، قدم لها وبوبها وشرحها د.علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ط1 ، 1988 م ج 1 ، ص 81 –82 .

[3] – م ن ، ج1 ، ص 82 .

[1] – م ن ، ج 1 ، ص 82 .

[2] – معجم مقاييس اللغة مادة (دل) .

[3] - المغني ، ج5 ،ص 186 .

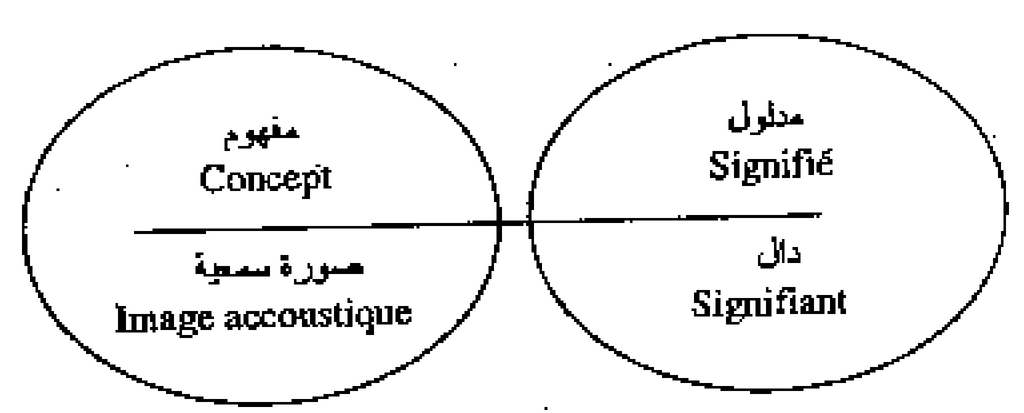
[4] – المفردات في غريب القرآن مادة (فقه) نقلا عن أحمد حـساني،مباحث فـي اللـسانيات د م ،ج الجزائر، 1994 ،ص 139 .

الإصلاح هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر" ([5]). ويرى الدلالة أو العلامة : " هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول " هكذا تناول القدامى العلامة .

وإذا كان دي سوسير(ت 1916م) قد بينّ عدم وجود علاقة بين الاسم والشيء في العلامة وهي الفكرة التي سادت قبله فإنه نصّ على أنها توجد بين المفهوم(Concept) والصورة السمعية(L image acoustique) فهي صورة ذهنية ذات جانبين نؤكد توضيحهما مرة أخرى في الشكل 4:

العلامـــــة اللغويـــة

شكل4:



لاحظ مثلا: قلمٌ: علامة لغوية تتكون من جانبين:

أ- جانب مادي فيه شقان:

1- الموجود الخارجي أو الشيء أي الأداة التي نكتب بها.

2 -اللفظ المنطوق بالفعل الذي يتألف من أصوات واقعية.

ب- جانب ذهني فيه شقان:

1-مفهوم أو صورة ذهنية للموجود الذي يشار إليه بلفظ قلم .

2- صورة سمعية أي صورة اللفظ نفسه التي تتمثلها إذا نظرت إلى كلمة (قلم) مكتوبة دون أن تنطق بها .

---

[5] التعريفات ، ضبطه وفهرسه محمد بن عبد الحكيم القاضي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 1 ،1991 م ، ص 116 (باب الدال).

ومن هنا فإن العلامة اللغوية عند سوسير تبعد الجانب المادي بشقيه في العنصر السالف من (أ) ؛ وعلى هذا فإن العلامة اللغوية لديه هي صورة ذهنية مركبة من (المفهوم + صورة سمعية)من العنصر (ب) أو بعبارة أخرى صورة ذهنية مركبة من (دال +مدلول) لا ينفصلان لأنهما بمثابة صفحة من الورق يستحيل أن تقطع وجها منها دون أن تقطع الآخر. ([1])

لكن لماذا ذهب دي سوسير إلى استبعاد الجانب المادي للعلامة اللغوية بشقيه المذكورين من الدراسة اللغوية (لأي سبب استبقى الجانب الذهني بشقيه لاغير) ؟

لا ننسى بأننا ذكرنا قبل في هذا البحث أن اللغة وهي موضوع الدراسة العلمية عبارة عن رموز ومنظومة وأنظمة مختزنة في الذهن ، لا يتحدد معناها بالصلة التي تجمع بين الألفاظ والأشياء وإنما المعنى يكتسب فيها من النسق الحادث من العلاقات فيها لأن ترتبها في النطق -كما ذكره عبد القاهر الجرجاني – يرجع إلى ترتب معانيها في النفس، ونحن لو خلينا بينها وبين معانيها في النفس لأصبحت مجرد أصوت وأصداء حروف. ([2]) وهو الذي تطرق قبل دي سوسير بقرون إلى معنى الدال والمدلول حين تحدث عن الفرق بين حروف منظومة وكلم منظومة فبين أن نظم الحروف يمثل تواليها في النطق فقط لا يقتضي دلالة أو معنى وعلى هذا أشار إلى أن ناطق اللغة لو قال « ربض» مكان « ضرب» ما كان ليؤدي إلى فساد ؛ لكن لا يستقيم له الأمر إن انتهجه في نظم الكلام لأنه في نظم الكلام يستدعي اقتـــفاء آثار المعاني وترتبها بحسب تناسقها مع المعاني في النفس ؛ فالنظم تناسق دلالي وتلاقيها مع المعاني على ما يستدعيه العقل.([1]) قال فيه عبد السلام المسدي : «لقد أحس بما أحس به علماء الإعجاز من قبله ولم يتوصلوا إلى القبض عليه بأداة معرفية واصفة ، وكان فضله عليهم أنه ابتكر الآلية اللغوية والمفهومية التي مكنته من تشخيص ظاهرة الدلالة وتصوير انبثاقها في الكلام بصرامة لم يسبق إليها سابق ، بل ولم يأت لاحق

---

1 – م ن، ص 116 (باب الدال) .

2 – انظر دلائل الإعجاز ص 45 .وكذا د. البدراوي الزهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها، دار المعارف ط4 ، 1987م، القاهرة ص 223.

1 – انظر م ن ، ص 40 وما بعدها

بما يتجاوز دقتها العلمية .»[2] . وهكذا ينكشف المعنى عند عبد القاهر بأنه ليس في الألفاظ ولا في التركيب وإنما هو في آليات التعلق الحادثة بين الكلمات أثناء تواليها النسقي في الكلام الذي يرجع بالأساس إلى النحو الذي تقوم قواعده بضبط بنيته التأليفية قصد الوصول إلى الدلالة المرادة بين المتكلم والمخاطب في الاستعمال .

وإن نظرة دي سوسير إلى الدال signifant باعتباره صورة سمعية أو ذهنية تجعلنا ندرس وحدات متميزة محدودة بينما لو درسنا الشق المادي لهذه الصورة لتعرضنا لصورة فردية غير محدودة فمثلا : وحدة النون في اللغة العربية لها في إسماعنا صورة ذهنية واحدة.غير أنها لها في الواقع المنطوق عدة صور فعلية تختلف بحسب موقعها ما قبلها أو بعدها من وحدات أو لاعتبارات أخرى مثل محاولتك النطق بالنون فيما يلي : أنياب ، أنفال ،عنبر : فالصور الذهنية يمكن أن نكتبها كما فعلنا هنا مع الكلمات السابقة ولكن الصور الفعلية لهذه النون–أي الصور الفعلية الذهنية – لا نستطيع كتابتها.

فالصور الذهنية في لغة ما ليست سوى عدد محدود من الفونيمات يمكن استدعاؤها لا غير بعدد مماثل من الرموز المكتوبة.

لقد أراد دي سوسير من خلال فهمه للعلامة اللغوية كوحدة أساسية في عملية التواصل بجانبيها الدال والمدلول أن يوجد في المستوى اللغوي مثيلا للظاهرة الاجتماعية في المستوى الاجتماعي. إذ الظاهرة الاجتماعية ذات وجود مستقل عن تحققاتها الفردية ويتعذر إخضاع التحققات الفردية للدراسة العلمية مثل : الكلام(le parole): ما يلفظه أفراد المجتمع ويختارونه من مفردات أو تراكيب صادرة عن أعضاء النطق في حركات وعلى هذا فالكلام ليس ظاهرة اجتماعية لأنه إنتاج فردي شعوري بينما الظاهرة الاجتماعية يجب أن تكون عامة في مجتمع ، وهذه الظاهرة الاجتماعية تمارس إلزاما على أفراده ،وليست الظاهرة الاجتماعية عملا فرديا حرا .إن الكلام عمل فردي للإرادة والعقل.

2- انظر العربية والإعراب ، ص 70 .

أما اللغة(la langue) فنظام من الرموز والصيغ والقواعد ينتقل من جيل إلى جيل ، ليس لها تحقق فعلي ([1]) " اللغة مؤسسة اجتماعية " ونتاج يكتسبه الفرد من الخارج .

أما اللسانlangage فظاهرة عامة تتمثل في العنصرين السابقين:(اللغة والكلام)مجتمعين وتبعا لهذا لا يعدّ دي سوسير(اللسان) ظاهرة اجتماعية خالصة لأنها تحتوي الجانب الفردي (الكلام) والجانب الاجتماعي (اللغة) .

وعلى هذا الأساس إذا استبعدنا من اللسان ما تعلق بالجانب الفردي بقي لنا العنصر الاجتماعي.

وقد سبق لنا أن وضحنا أن المجتمع هو الذي يخضعنا لقواعد اللغة وييسّر لنا أو يسهّل عنصر التفاهم المشترك فنقول إلى الأفراد ما يفهم ، ونفهم بالمقابل ما يقال لنا . فعلى أي أساس تم هذا التفاهم ؟ لقد تمّ حين تحقق الالتزام بالعرف اللغوي للجماعة ، أو بعبارة أخرى تم التفاهم عندنا لأننا التزمنا بالقواعد التي يفرضها العرف .

- وهكذا فاللغة نتاج جمعي لملكة اللغة، وهي مجموعة موحدة من العادات والأعراف التي تتتابها المجتمع أو جماعة معينة تسمح باستخدام تلك الملكة .
- اللغة علامة مختزنة يتلقاها كل فرد من الأفراد الذين يستخدمون اللغة نفسها في المجتمع المعين ، فهي موجودة بالقوة (أي كامنة) بينما الكلام موجود بالفعل (أي حادث).
- اللغة مجموعة من العادات والتقاليد تتلقى جاهزة من الجيل السابق لنا وهي مع هذا التلقي يعتورها التغيير الطفيف الذي لا يعتد به عند الدراسة بينما يتعرض الكلام لتغييرات لا تنتهي ولا يمكن تجاهلها .

ومن هذا فاللغة عند دي سوسير: ظاهرة اجتماعية يمكن النظر إليها على أنها ذات وجود مستقل عن تحققاتها الفردية وعلى الصورة الذهنية للدال أيضا ذات وجود مستقل عن صورها المادية وذات الطابع الفردي فالأبجدية النموذجية تتألف من عدد من الرموز المكتوبة المماثلة لعدد من الصور الذهنية .

---

1 – انظر دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ، ص 26 – 27.

فهي إذن ظاهرة اجتماعية يمكن دراستها كما لو كانت شيئا دراسة علمية. وقد استفاد في هذا الجانب من العالم الاجتماعي (دور كايم) الذي رأى الظواهر الاجتماعية([1]) ضروبا من السلوك والشعور التي يمكن ملاحظتها بسهولة لأنها توجد خارج شعور الأفراد وتفرض نفسها عليهم ، فهي ليست من صنع الفرد وإنما يتلقاها من المجتمع الذي نشأ فيه والمجتمع هو الذي يفرضها عليه وليست وليدة التفكير الذاتي .

ومن كل هذا رأى دي سوسير اللغة ظاهرة اجتماعية يمكن النظر إليها على أنها شيء منفصل عن الصور اللغوية التي يستخدمها الأفراد ، وهي كنز اجتماعي من الوحدات والقوانين التي تمثل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحيد عنه . ولاشك في أن موضوع اللسانيات هو اللغة بكل مستوياتها : الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والدلالية التي ترتسم في عقول جميع الناس .

وعلى أي حال فإن تأثر دي سوسير بالنظرية الاجتماعية لـ (دوركايم) قد أدى به إلى شيء من المبالغة في الطابع الشخصي أو الاجتماعي للغة لأنه يعترف بأن التغييرات التي تصيب " اللغة " تنطلق من التغييرات التي يحدثها الأفراد في الكلام فقد قال :« وتشتمل دراسة اللسان جزئيين :

الأول: جوهري وغرضه اللغة التي تتميز بكونها اجتماعية في ماهيتها ومستقلة عن الفرد وهذه دراسة نفسية فحسب.

الثاني: ثانوي، وغرضه الجزء الفردي من اللسان ونعني بذلك " الكلام " بما فيه التصويت وهذا الجزء نفسي فيزيائي »([2]): .

ثم قال:« ومن غير شك أن هذين الغرضين مرتبطان متلازمان بشكل وثيق ويفترض الواحد منها الآخر..» ثم أضاف« وفضلا عن ذلك فالكلام هو الذي يطور اللغة والانطباعات التي نستقبلها عبر سماعنا الآخرين هي التي تغيّـر عاداتنا الألسنية ،فهناك إذن تأثير متبادل بين

1- مثل الإنفاق على الأبناء – تربيتهم – رعاية الآباء .. إلخ

2 - محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ص 31 – 32

اللغة والكلام ، إن اللغة في وقت واحد هي إنتاج للكلام ووسيلة له .ولكن هذا لا يمنع كونهما شيئين تميزين كليا الواحد عن الآخر » ([3]).

إذن يمكن أن ندرس "اللغة " دراسة علمية في مجموعها الكلي، لكن نستطيع "دراسة الكلام " في بعض الحالات مثل الحبسة ، والأمراض النفسية والعقلية وتحليل الأسلوب .

ولما كانت اللغة عند سوسير نظاما من العلامات بدلا من نظام من الجمل فهذا معناه أن التركيب أو الجملة مسألة خاصة بالكلام وليس باللغة لأن موضوع الدراسة العلمية للغة هو النماذج التي يأتي الكلام مطابقا لها مثل : كان+ اسم مرفوع +اسم منصوب، وهذا الشكل نموذج.

أما الشكل : (كان المطرُ غزيراً) فجملة أتت مطابقة للنموذج السابق ، تستطيع أن تأتي بعدد لا حصر له يماثلها ، أي أن النموذج واحد والجمل لا حصر لها، ونحن ينبغي أن ندرس النماذج لا الجمل. ناهيك أن الجمل السابقة حين ينطقها عدد من الأفراد يتحقق في الواقع عدد من المنطوقات المختلفة بما يماثلها من عدد الأفراد الناطقين بها ولا سبيل إلى دراسة هذه الصور الفردية ([1]) ونعرض لأهم القضايا التي أغنى بها دي سيوير الدرس اللساني وأحدث بها انطلاقة ساهمت في تغيير المسار اللغوي وفي تطويره :

أولا : الآنية والزمانية : أي الوصفية والتاريخية :

لقد ميّز دي سوير بين منهجين في بحث الدرس اللغوي .

---

[3] – م ن ، ص 32 .

[1] – انظر د. محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة العام ، ص 301 ، 302 .

أهم ما يميز الكلام عن اللغة : الكلام نشاط فردي أي أحداث فردية متنوع مبتكر مختلط لا يحقق فيها وهي تصور حالية أي مرتبطة بلحظة الكلام . أما اللغة فنظام من الرموز والقوانين المنائية من المجتمع ، وهي من خلق المجتمع لا يستطيع الفرد أن يحيد عنه وكلام الفرد هو تطبيق لهذا النظام ، اللغة تتسم بالثبات النسبي بينما الكلام متغيّـر ، وعلى العموم فاللغة أمر ضروري ليكون الكلام ويتحقق التواصل . ويعد الكلام أيضا ضروريا حتى تقوم اللغة وتتجسد شكلا ماديا ، والكلام يطور اللغة لأن دخول المفردات والأساليب إلى اللغة تتـمّ بعد أن تجرب في الكلام .قال دي سوسير في هذا :" إنـــها لا ترتسم في دماغها إلا بعد تجارب عديدة وفضلا عن ذلك فالكلام هو الذي يطور اللغة (...) " إذن هناك تأثير متبادل بين اللغه والكلام إن اللغة في وقت واحد هي إنتاج الكلام ووسيلة له ولا يمنع كونهما شيئين متميزين " محاضرات في الألسنية العامة ، ص 32 .

1- المنهج التاريخي: ويهتم بالتحول المرحلي للسان عبر الفترات الزمنية المختلفة

2- المنهج الوصفي: ويتناول الظاهرة المدروسة كما هي في الواقع اللغوي فأنت ترى مما سبق بأن اللسانيات تتفرع إلى فرعين :

أ- لسانيات تاريخية تطورية(Diachronique): وهي تتعقب اللغة في حالتها المتعاقبة التطورية عبر التاريخ .

ب- لسانيات سكونية آنية (وصفية تزامنية) (Synchronique): وهي تدرس النظام اللساني في ذاته ولذاته في حالة لغة بعيدا عن التاريخ وبمعزل عنه.

والدراسة الوصفية هذه تدرس اللغة في فترة زمنية محددة بقطع النظر عن حالتها قبل هذه الفترة أو بعدها ، لذا فهي وصف للغة في نقطة معينة . أما الدراسة التاريخية (وتسمى أيضا التزمّنية والتطورية) فتدرس اللغة عبر تطورها وفي إطار صيرورتها التاريخية.

ونظرا لطغيان المنهج التاريخي طيلة القرن التاسع عشر رأى دي سوير أن يركز الاهتمام على وصفها لأنها جهاز معقد يعوزه الوصف الدقيق الكامل قبل أن يدرس دراسة تاريخية تطورية . فهو لا يلغي الدراسة التاريخية ليحل محلها الدراسة الوصفية الآنية وهو على العكس أبرز أن المنهجين متكاملان وكل منهما في خدمة اللغة. فالآنية تدرس اللغة باعتبارها جهازا وتدرس وظائفها وعلاقة عناصرها بعض ببعض .والتزمّنية (التاريخية) تبحث تطورها في تتابعها الزمني .بل إن الدراسة الوصفية تعدّ [1] منطلق الدراسة التاريخية ولا تخلو الدراسة الوصفية من عناصر(زمانية تاريخية) أيضا لأن اللغة يتعايش في كنفها في أي فترة زمانية محددة بقايا الماضي والحاضر وآفاق المستقبل ، لا بد أن نعي بأن ظاهرة التطور والتغيّر اللغويين لا يعنيان القضاء على اللغة من حيث هي جهاز لغوي ووظيفة تواصلية لكنهما يعملان أكثر على ترسيخ ذلك الجهاز وعلى بنائه بناء جديدا .

---

1 - انظر د. نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 309 - 310 وما بعدها.

ثانيـــا: العلاقات التركيبية والترابطية :

إن ثنائية العلاقة التي تبناها دي سوسير تمثل ركنا أساسيا في اللسانيات البنويـــة وتتمثـــل ثنائيتها في جانب يظهر في شكل علاقات رأسية تصريفية Paradigmatiqueالتي تقع بين الكلمة وما يمت إليها من صلة لفظية أو معنوية من الكلمات الأخرى التي لم يقع ذكرهـــا فـــي الـــنص وعلاقات نظمية تركيبية;Syntagmatique تتكون بين الكلمـــة وغيرهـــا مـــن الكلمـــات فـــي الجملة.(2)

أ-العلاقات التركيبيةRelation syntagmatique: يتمثل هذا النوع في العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة وذلك كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة . فكل منها يضفي معنى إضافيا على الكل وتعد كل وحدة في حالة تقابلية مع الوحدات اللغوية الأخرى ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها من الوحدات التي تـسبقها أو تعقبها وتسمى هذه الأنساق الخطية تراكيب مثلا :

– في جملة: صار الطقس باردا : توجد ثلاث علاقات تركيبية من ثلاث وحـــدات هـــي : صار+ الطقس+باردا .

أما على مستوى المفردات فتتمثل العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الصوتية (الفونولوجية) التي تتعارض عليها في تكوين مفـــرده لغويـــة مثـــل المجموعة الصوتية التالية : لـــ+ ســـ+ ا + نـــ+ يـــ+ ا + ت = تعني مجتمعة :" لسانيات ".

ويرى دي سوير بأن الكلمات تكتسب في الخطاب بـــ علاقات مبنية على ضـــوء اللغـــة الخطية بسبب ترابطها مع بعضها الأمر الذي يمتنع نطق عنصرين في آن واحد (1) .

ويسمي بعض الدراسيين العلاقات التركيبية: العلاقات السياقية: وهي تحدد الوحدات التي تتواجد داخل ملفوظ معين واحد ، فهي إذن تتعلق بتركيب الوحدات اللسانية التي يختارها المتكلم فعلا ويرصفها حسب نظام معين (نظام اللغة التي ينتمي إليها أو يجيدها لمجتمع آخر.فالسياقية من باب التواؤم وتبنى على التوزيع .

---

2 – انظر د. شكري عياد ، اللغة والإبداع – مبادئ علم الأسلوب العربي ، القاهرة ، 1988م ،ص 4 .

1 - انظر أحمد مؤمن،اللسانيات النشأة والتطور، ص 130 .

ب- العلاقات الترابطية: Relation paradigmatique:

يطلق مفهوم العلاقات الترابطية على العلاقات الاستبدالية بين [2] العناصر اللغوية التي يمكن أن تحل محل بعضها البعض في سياق واحد .إنها تعكس علاقة موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة وإنما هي موجودة ذهن المتكلم أو في أذهاننا بصورة عامة . قال دي سوسير:« تتسم الكلمات- خارج الخطاب بشيء مشترك وتترابط في الذاكرة مشكلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة فكلمة (enseignement) أي (تعلم) مثلا تجعل قافلة كلمات أخرى تنبثق في الذهن لا شعوريا فتستدعي مثل: Enseigner renseigner : علم أعلم ،أو armement؛Changement (أي تسليح،تغيير)، أو تربية ،اكتساب Apprentissage éducation. إن الكلمات مجتمعة شيء مشترك من جانب أو من آخر»[3] .

ومن المكن أن نذكر للتوضيح ما ذكره بعض الدراسيين من الشواهد الشارحة للعلاقة الترابطية كما يلي : أصبح الجو صحوا – صار المناخ رطبا – كان الأمن منعدما.

- يمكنك أن تعوض كلمة(أصبح) مثلا بـ(صار)، وكان ، و أضحى..... إلخ .
- وتعوّض كلمة (المناخ)بـ :(الجو، الأمن ، البحر ، الطفل ، المعهد .... إلخ)
- وتعوّض كلمة (صحواً) بـ(رطبا ، منعدما....إلخ) : هذا في الكلمة على المستوى التركيب.

أما على مستوى المفردات فإن تحديد كل صوت(Phonème) يتم بمقابلته بالأصوات الأخرى التي يمكن أن تحل محله في سياقات متعددة من أجل تكوين الكلمات وذلك كأن تستبدل الصوت الأول(الاستهلالي) ببعض الأصوات على أن تبقى الصوتين: الثاني والثالث نحو: نام - قام - رام -هام - دام.

أو تستبدل الصوت (الحرف) الثاني من الكلمة بصوت آخر وتبقى الحرف أو الصوت الأول والحرف الثالث الختامي نحو : عجن ، عفن ، عان.

---

[2] - الاستبدال: يتمثل في مجموعة الألفاظ التي يمكن لمستعمل اللغة أن يأتي بلفظ منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام ، فكل لفظ كان بإمكان المتكلم أن يستعاض عنه بلفظ آخر من محور اختياره .انظر .د نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ،ص 313.

[3] - محاضرات في الألسنية العامة،(العلاقات التركيبية والترابطية) ،ص 149 ، 150.

وقد ذكرنا قبل العلاقات الترابطية التي ذهب إليها دي سوسير من الترابط الواقع في الذاكرة بين الكلمات مشكلة مجموعات تميزها علاقات مختلفة([1]) بين enseigner ، renseigner enseignement وبين Changement، Armement وبين Apprentissage و éducation فأنت ترى بأن هذه الكلمات يجمع بينها عنصر مشترك هو الجذر.

وقد يجمع بينها عنصر مشترك في هذا الترابط ينبثق عن المدلولات مثل Uducation، Apprentissage و instruction و enseignement أي بين مدلولات(تعليم – تثقيف – اكتساب – تربية ..).

فالعلاقة التركيبية كما ذكر دي سوسير حضورية([2]) تقوم على عبارتين أو أكثر في سلسلة كلامية موجودة بقوة الفعل. أما العلاقة الترابطية فتربط أو تجمع بين عبارات غيابية في سلسلة كلامية موجود في الذاكرة([3]). وسيأتي مزيد من التوضيح لبعدي العلاقتين المذكورتين في اللغة عند بسط اعتباطية العلامة لاحقا.

ولابد أن نقول متسائلين : هل مثلت معطيات اللسانية المعاصرة عتبات معرفية لم يكن ليخطوها العقل العربي قبل ؟ ألم يهتد علماؤنا القدامى إلى أن اللغة نظام ونسق من العلامات تربطها علاقات من التتابع والاستبدال ؟ ألم يحقق العقل اللساني العربي هذه القضايا بحثا وجدلا بدءا من الجاحظ المعتزلي ومن تلاه من العلماء كعبد القاهر الجرجاني السالف الذكر بخاصة ؟ هل كان من الممكن ترشيد هذه المفاهيم المصطلحية التراثية بما كان يرقى إلى الحد العلمي الذي يغني العلماء اللاحقين عن أن يستحدثوا غيرها لأنها ذات سمة علمية لغوية كلية تتعدى اللغة العربية إلى غيرها من اللغات الإنسانية .

---

1 - انظر م ن، ص 149، 150وما بعدها.

2 – م ن ،ص 150

3 – انظر م ن ، ص 150 .وكذا أحمد مؤمن ، اللسانيات النشأة والتطور ،ص 132 .

العلامة العرفية (أو اعتباطية العلامة)

لقد وضع دي سوسير الأساس الفعلي للسيميائية أو علم العلامات ([1])حين ذهب إلى أن اللغة نظام من العلامات تعبر عن فكرة ما([2]). وبنى العلامة اللغوية على ثنائية : دال مادي (الصورة السمعية) ، ومدلول ذهني(المفهوم) ، وهو الذي رأى عدم وجود علاقة مباشرة بين اللفظ والشيء الذي يشار إليه وهو الرأي الشائع في زمنه ؛ لكنه بين مع ذلك الطبيعة العرفية للعلامة من نوع خاص ؛ فالاتفاق على استعمال أو استخدام لفظ معين نشير به إلى شيء معين ليس اتفاقا صريحا واضحا . إنما هو عبارة عن موقف يحظى بقبول الجماعة .

إن العلامة (Signe) في نظر دي سوسير توجد بين(مفهوم Concept) و(صورة سمعية image acoustique)لا بين شيء واسم ؛ فالصورة السمعية ليست الأصوات المادية بخصائصها الفيزيائية وإنما هي البصمة النفسية للصوت .

فالعلامة عنده كيان نفسي ذو وجهين: ([3]) الأول : مفهوم والثاني صورة سمعية.(أو بعبارة أخرى – كما رأينا قبل – دال ومدلول) فالعلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية أي علاقة معللة، لذا يقول دي سوسير: " إن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم بل تصورا بصورة سمعية" ([4]) وبهذا يفصل بين العلامة باعتبارها حقيقة نفسية وبين الشيء الذي تحيل إليه في الواقع الخارجي.

---

[1] 1– للسيميائية والسيميولوجية :علم العلامات :انحصرت في نطاق النظرية العامة للغة إلى أن أصبحت مع أعمال الباحث الأمريكي ا لفيلسوف (تشارلز بيرس 1839–1914م) نظاما أو قواعد مستقلة كعلم الإشارة يضم كل العلوم الإنسانية والطبيعية : انظر بيرو جيرو، علم الإشارة ؛ : السيميولوجيا ، ترجمة منذر عياشي دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر 1988م ، ط1، ص24 . تنوعت استعمالاته المصطلحية عند الباحثين العرب بين :العلامية وعلم العلامات والسيميائية.

[2] - انظر دي سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ص 26

[3] - انظر م ن ، ص88.

[4] – م ن ، ص 88 . وكذا أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات (د ، م ، ج)الجزائر، 1994 م،ص 44.

وهذا معناه أن العلامة شيء محسوس يستدعي شيئا آخر بوصفه بديلا عنه ، فهي أي العلامة تثير في العقل صورة ذهنية ولكن هذه الصورة الذهنية في صورة الشيء موجود في الواقع الخارجي .

وهكذا فالعلاقة اللغوية اعتباطية لأنها مجموع ما ينجم عن ترابط الدال بالمدلول.

وللتأصيل نذكر أن لاعتباطية العلامة جذورها في اللغة العربية ولا شك في أنه يبين للدارس من هذا الجيل وغيره درجة الأهمية لهذا الغبار الذي يثيره بعض المنبهرين جدا باللسانيات المعاصرة في جوانب معينة كثيرة على حساب تأصيلها البحثي المدقق عند العرب وكأنها فتح علمي لا صلة للعقل العربي في الاهتداء لآليته وأجهزته ؛ فقد قال الاسفراييني (ت 406هـ):« إن الأسماء لا تدل على مدلولها لذاتها إذا لا مناسبة بين الاسم والمسمى،الثوب: يسمى في لغة العرب باسم وفي لغة العجم باسم ولو سمي الثوب فرسا والفرس ثوبا لما كان ذلك مستحيلا». [1]

وقال عبد القاهر الجرجاني : « لو أن واضع اللغة كان قد قال : ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد » [2] .وإن رمنا التأصيل في هذه الزاوية الركن من الأفق الدلالي الملتمس ما بين اللفظ والمعنى في إطار الدال والمدلول في التراث اللغوي وامتداداته البحثية اللسانية المعاصرة فإنه يحق لنا التذكير بفضل العقل العربي في هذه المسألة ، أشار كثير من الباحثين إلى هذا الاقتحام العلمي المعرفي بما يعزز التوجه الأمين والتأصيل المنصف الثابت في الخوض المعرفي في تراثنا العربي الزاخر من ذلك قال مصطفى ناصف :«إن التراث العربي وبخاصة في المجال التطبيقي ، أعني الشروح والتفسيرات ، ما يزال بكرا قابلا لدراسات كثيرة في المعنى وطرق كشفه» [3] ثم قال في دلالات الألفاظ والتراكيب :« والحقيقة أن الناحيتين قد تداخلتا معا ونتج عن تداخلهما خصبة عميقة يحق للعقل العربي أن يفخر بها كما يلاحظ ذلك المستشرقون وما يزال تصور النحو العربي لمسألة المعنى من الأمور المهملة التي عزف عنها الدارسون المحدثون لصعوبتها وحاجتها إلى دراسات كثيرة متفرقة في الفلسفة واللغة وفروع أخرى كثيرة

1- راجع د.نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 322.

2 - انظر دلائل الإعجاز ، ص 40.

3- انظر نظرية المعنى في النقد العربي ، دار الأندلس، بيروت (د.ت) ، ص5.

من الثقافة العربية ».([4])وقد أثارت فكرة الاعتباطية جدلا بين الدراسيين واللغـويين رأهـا بعضهم ضرورية وآخرون قالوا : العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية ضرورية في آن واحد .

ويستدل دي سوسير على ذلك بأن فكرة" أخت sœur' لا ترتبط بأية علاقة داخلية مع تعاقب الأصوات [أ– خ ــ ت]، التي تقوم مقام الدال بالنسبة إليها ،ولابد أن نبيـن بأنه أبـرز أن صفة الاعتباطية لا ينبغي أن يفهم منها بأن الدال من اختيار الفرد لأنه ليس بإمكان الفرد تغيير أي علامة بأي طريقة كانت بعد رسوخها في الاستعمال اللغوي .

إذن فالعلامة اللغوية اعتباطية لكونها ليس لديها في الواقع أية صلة طبيعية بالمدلول ([1]) .

وعلى العموم فإن دي سوسير يعدّ بحق أبا للسانيات الحديثة فهو أول من أثبت فـي الميدان بأن اللغة نظام قائم بذاته ونسيج من العلامات والتراكيب تكتسب مكوّناتها وقيمتهـا من خلال علاقتها بالكل .

لقد كان أول المتخلين عن اللسانيات التاريخية بعد إطلاعه علـى أبعادهـا ومراميهـا والتنظير لها والتأليف فيها ليركزّ في آخر المطاف على اللسانيات الآنية (الوصفية) التي تهتم بدراسة اللغة دراسة وصفية موضوعية في نقطة زمنية معينة بذاتها ولذاته ؛ فاشتهر بكتابه المطبوع من صديقيه عام 1916 " **محاضرات في الألسنة العامة** " وهو كتاب يضم محاضراته التي بوّبها صديقاه وأخرجاها في هذا الكتاب ويمكن القول بأنه تناول فيه :([2])

- تاريخ اللسانيات ،ومادتها ، ومهمتها ، وعلاقتها ببعض العلوم .
- تحدث كثيرا عن المبادئ العامة والثنائيات الأساسية اللازمة في الدراسة اللغوية .
- فصّل في اللسانيات(الآنية)و(التاريخية) والجغرافية والعامة، والدراسات الصوتية .
- أثّـر بتميزه بين العلاقة التركيبية والعلاقة الترابطية على كثير من النظريات اللغوية بخاصة في أوروب الغربية وبأقل في أوروبا الأمريكية فاهتمت الأولى بالعلاقات التركيبية أكثر بينمـا اعتنت الثانية بالعلاقات الترابطية .

---

[4] – انظر م ن، ص7

[1] – انظر أحمد مـومن،اللسانيات النشأة والتطور، ص 128 .

[2] – انظر م ن ،ص 134،135 .

- تأثر بعلم الاجتماع وعلم النفس العام والاقتصاد والسياسة ورغم ذلك جعل الدراسة اللسانية علما مستقلا بذاته يدرس اللغة دراسة مبنية على المنهج الوصفي البحث المخالف للدراسة السالفة التي كانت تاريخية ، وقد جعل آخر جملة له في كتابة تعبّر عن فكرته الرئيسية المخلصة لمحاضراته:« إن هدف اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ولذاتها» ([3])

- تهدف الدراسة اللغوية الوصفية إلى وصف نظام اللغة المدروسة وصفا خاصا يعتمد على الملاحظة المباشرة دون إصدار أحكام بالصواب والخطأ أو بالجمال والقبح على النص المدروس .

- وتهدف الدراسة المعيارية إلى وضع قواعد للغة تحدد الصواب الذي يراد الوصول إليه والخطأ الذي ينبغي الانتهاء عنه .وهو توجه يتستر وراء سبب ديني في الغالب أو سبب سياسي أو اجتماعي وليس مبنيا على أساس لغوي. فالمنهج الوصفي هدفه تحري الحقيقة والمنهج المعياري ذو هدف عملي يقصد تدريب الناس على تتبع الطرق التعبيرية التي تعتبر صوابا وتجنب غيرها المدرجة في الخطأ.

- إن الدراسة الوصفية للغة تعني دراسة النظام وحده وتترك العوامل التاريخية والاجتماعية التي ساهمت في خلق هذا النظام .

- لقد انتعشت الدراسات اللغوية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وتميّز البحث فيها إذ لم يعد نتيجة لنزوة فردية وإنما صار نتيجة لبعض المناهج الموضوعية الدقيقة بخاصة في القرن التاسع عشر المتميز بالمنهجين التاريخي والمقارن .وتمكن الباحثون فيه من تحليل العناصر اللغوية تحليلا صوتيا دقيقا باحثين كل العناصر فيه تتركب منها الأصوات في إطار العلاقات الداخلية التي تنظم البنية الصوتية. وهذا أدى بهم إلى وضع مناهج صوتية حديثة لتحليل الصوتيات العالمية .

---

[3] - انظر محاضرات في الألسنية العامة ص 280.

– لقد كانت دراسات القرن التاسع عشر أساسا قويا وأرضية فعالة للعمل اللساني الذي قام به (دي سوسير) الذي يعـد بكتابه السابق الذكر أبا لعلم اللسانيات البشري .إذ تعززت الحاجـة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى جعل البحث اللساني علميا ومستقلا عن العلوم الأخرى في الوقت ذاته؛ لذا اهتم العلماء في هذا المجال بالتأسـيس علـى الطريقـة العلميـة : الملاحظة والتجريب والضبط والدقة والموضوعية في بحثهم واستقصائهم اللغوي.ولا ريب فـي أن هذه النتيجة تعد محصلة ما حققه البحث من خلال الدراسات التاريخية والمقارنة بخاصـة فـي جانب البحث اللساني الصوتي ،وهو الذي نلمسه عند (دي سوسير)الذي أكـد علـى أن دراسـة الرموز والإشارات وبحث علاقاتها المنتظمة في إطار المنهج الوصفي (الآني، السنكروني) يمكن أن يمنحنا الطرق العلمية المضبوطة الدقيقة. ولابد لهذه الدراسة الوصفية أن تستقل عـن العلـوم الأخرى .

ويبدو حسب بعض الدراسين أن دي سوسير لم يبن منهجا تحليليا واضحا علميا قـادرا على تحليل اللغة بدقة وإنما هذا الفرع أدركه العالم الأمريكي (**سابير – ت 1939 م**) بعده فـي دراسته الأنثروبولوجيا بلغات [**الهندية – الأمريكية**] بين المفاهيم اللغوية القديمة والحديثة وذلك بمحاولته الجمع بين المادة اللغوية القديمة والمنهج اللغوي الحديث .

ولم يستطيع هذا العالم الأمريكي سابير([1]) نفسه دراسة الجانب الدلالي وعلاقتـه بالـشكل اللغوي(علاقة المضمون بالشكل) لأمر واضح وهو أنه درس الدلالة اللغوية من ناحيتها النفسية(السيكولوجية) التقليدية التي كانت منتهجة في العمل اللساني في القرون الوسـطى إذ كـان العلماء وقتذاك يهتمون بتطوير النظريات النفسية وربطهـا بالمـذاهب الفلـسفية المنطقيـة

1 - سابيـــر، عالم أنثروبولوجي ولغوي في آن واحد وله اهتمامات أخرى كالأدب والموسيقى والفن له مقالات وأبحاث وله كتاب " اللغة " عام 1921 . كان إنسانيا في نظرته إلى اللغة لإبرازه الجانب الثقافي والحضاري للغة على أساس أن العقل سابق على الإرادة والشعور ، وهو الذي ركز على " السمة الإدراكية " للغة ، وهي عنده : ظاهرة إنسانية خالصة ، وقد تمسك تشومسكي بكثير من مواقفه اللغوية رغم أنه طور أفكاره على أساس تقاليد مدرسة بلومفيلد : انظر جون ليونـــز، نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة وتعليق ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 1995 م ،ص 66 ، 67 . و د . مازن الوعر قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، ط 1 ، 1988 م ، ص 64 .

وركزت دراستها حول الأشياء الواقعية وليس حول الكلمات الممثلة لهذه الأشياء لذا لم تكن الدراسة لغوية لأنها لم تعتبر اللغة فعالة بذاتها –

إذن كانت دراسة سابير تقليدية رغم حداثة أسلوبه في معالجة الدلالة وقد تأثر بأستاذه (T.BOAS بواز توماس) (1858 م– 1942 م) في الاهتمام بالأنتروبولوجيا (علم الأجناس) وشابههم في ذلك (بلومفيلد) :إذ قاموا بدراسة لغة الهنود الحمر غير المكتوبة ووجدوا في المنهج الوصفي الطريقة الناجعة لأبحاثهم وهو المنهج الذي قال به دي سوسير وشرحه ونذكر " بأنه يقوم على مظهرين :

1– البنية اللغوية(التركيب الداخلي من صرف ونحو)باعتبارها أهم مميزاتها .

2– أهمية اللغة المنطوقة بوصفها المظهر الأول الأساسي للغة[2]) وهي ظاهرة اجتماعية ونظام جمعي من الرموز والقوانين، ومن أنه لا معنى للرموز الصوتية أو الكتابية في حد ذاتها،وبأن العلاقة بين الرموز الدلالات(الألفاظ) وبين المفهوم أو المعنى أو المدلولات عشوائية وغير معللة أي أنها اصطلاحية .

لقد كان " جيمس ها ريس " الممثل البارز لقواعد الفلسفة العامة في انجلترا في القرن الثمن عشر، ينعت تفكيره بالأفلاطوني، وكان أصحاب القواعد العقلية العامة في أوروبا يقيمون هذه القواعد في الأساس على تفكير " ديكارت " بينما كان " هاريس" ذا نزعة أرسطية متشبعا بالفلسفة القديمة والأدب القديم ، أي أنه اطلع على القواعد المبنية على الأسس الفلسفية لأرسطو فكان مطالبا كغيره ممن بنى قواعده العقلية العامة على هذه النزعة أو تلك – بأن يميز بين اختلاف التراكيب الفردية للغات المعينة وبين تلك المبادئ الأساسية. لقد تبع "هاريس "أرسطو في معنى الكلمة :الكلمات ترتبط بما تدل عليه من طريق العرف واللغة نظام من الأصوات المنطوقة الدالة بالاتفاق.وهو يبني نظامه للقواعد على أساسين :

الأول: الأسماء (بما فيها الضمائر) أو الجوهريات أي" دوال الجواهر).

الثاني:الأفعال أو (الوصفيات) أي دوال الصفات والظروف عنده فرع خاص من الصفات .

---

[2] – انظر نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية الحديثة سلسلة عالم المعرفة الكويت ، عدد 9 ص 107 .

" هاريس" فيلسوف أعطى عناية أكبر للغة بوصفها أداة للتعبير عن القضايا المنطقية وهو يؤكد على أهمية العموميات في استعمال اللغة ويتفق في هذا مع " كوندلاك " ومع " هردر " الذي استحسن له "هاريس" ربط ملكة الكلام بملكة التجريد ، والانتباه إلى الخصوصية المستقلة لكل لغة وارتباط اللغات القوي بتاريخ الناس وحياتهم والناس المتحدثين بها .

– وهكذا يمكن القول من الناحية التاريخية إن دي سوسير :

أولا: – صاغ البعدين الأساسين للدراسة اللغوية وبيّنهما،البعد الأول: الدراسة الوصفية: (السنكرونية) التي تدرس اللغات دراسة وصفية في زمن معين بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها.والبعد الثاني الدراسة التعاقبية التاريخية (الدياكرونية)التي يعالج فيها الدارس تاريخيا عوامل التغيير الممكنة الحاصلة التي تلحق اللغات في مسيرة الزمن. وللبعدين السابقين تفرد في المنهج والمبدأ الخاص به وأساسيات البحث والتدريس .

ثانيا: ميّز بين المقدرة اللغوية للمتكلم وبين مادة علم اللغة(المنطوقات)(Langage parole langue اللغة – الكلام– اللسان ([1])، وأكد على أن الهدف الرئيسي للباحث أو اللغوي هو (Langue : اللغة)، لا الكلام ، لكنه أدرك بأن الكلام يطور اللغة أو أن التغيير الحاصل في اللغة إنما هو نتيجة التغيير الذي يحدثه الأفراد في كلامهم فالكلام بعد مران ينضوي داخل اللغة وفي النظام والقوانين التي تسير ملكة ومخزونا اجتماعيا .

ثالثا: بيّن دي سوسير أن كل لغة يجب وصفها معجميا وقواعديا ووظيفية صوتية (فونولوجيا) وصفا زمنيا باعتبارها نظاما من العناصر المترابطة التي يتعلق بعضها ببعض.

---

[1]- انظر دي سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ص 25 وما بعدها. وكذا ر.هـ روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ترجمة د. أحمد عوض ، ص 320.

العلاقات التبادلية في اللغة

وتقوم العلاقات المتبادلة في اللغة على بعدين للتركيب اللغوي الآتي :

1- البعد الأفقي Syntagmatique المنطبق على تتابع المنطوق .

2- البعد الرأسي Paradigmatique المتمثل في الفئات المتقابلة ([1])

ويمكن أن نتناول العلامات اللغوية في العلاقات المتبادلة من زاوية علاقة بعضها ببعض دون أن ننسى أن العلامة لا تنتج معناها الكامل إلا بصلتها بغيرها من العلامات فلا دلالة لها بمعزل عن غيرها من العلامات ؛ وعلى هذا الأساس تستطيع أن تصنف العلامات في نص من النصوص إلى علاقات عمودية [رأسية] Syntagmatique وعلاقات أخرى أفقيةParadigmatique ويوضح الشكل: 5 الموالي معنى المصطلحين :

Paradigmatique

هذه..................

هذان.................

هاتان...............

ذلك ....

هذا ....

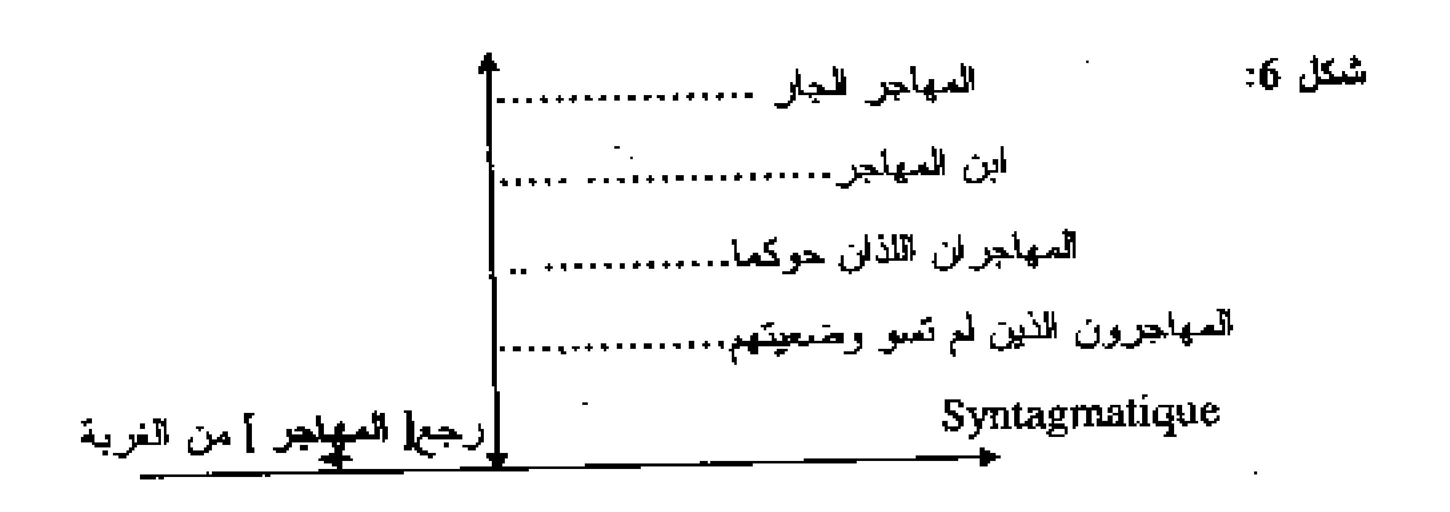
مقال عن زمن التردي العربي

syntagmatique

شكل5

تمثل العلاقة الأفقية علاقة تركيب ودمج بين العلامات . أما العلاقة العمودية أو الرأسية فتمثل فيها علاقة اختيار. وهو لا يقتصر على العناصر اللغوية أو على وحداتها وإنما يتناول كذلك التراكيب المكونة من أكثر من عنصر وهو ما يوضحه الشكل:6 الموالي :

1- انظر ر .هـ - روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ، سلسلة كتب ثقافية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ترجمة أحمد عوض، 1997 م ،ص 251 وما بعدها ، ص319 وما بعدها .



المدارس اللسانية بعد دي سوسير

تكونت إثر شيوع كتاب دي سوسير– بالإطلاع عليه أو ترجمته – مجموعة من الحلقات اللسانية عبر العالم ما لبثت أن أخذت طابع المدارس المتميزة نبسط فيها الحديث بإيجاز كما يأتي منها :

مدرسة جنـــيف :

من أعلام هذه المدرسة:شارل بالي (charl .baly) وسيشهاي (sechehay) وقد تتلمذا على يد دي سوسير، وهما اللذان طبعا محاضراته في الكتاب الذي اشتهر به دي سوسير، اهتما بقضايا اللغة و تميزا بوجهة نظر. فقد اختص شارل بالي(ت 1947م) في السنسكريتية واليونانية وذلك بعد أن استوعب مفاهيم أستاذه دي سوســير وتمكن من فهمها اهتم بدراسة الأسلوب وكان له دور بارز في إرساء الأسلوبية المعاصرة سنة 1902 م . .

من آثاره:

1- مصنف الأسلوبية الفرنسية.

2- اللغة والحياة.

3- اللسانيات العام واللسانيات الفرنسية.

وممن اقتفى أثر الباحثين السابقين:هنري فراي H.FREY وهو عالم بارز، والباحث روبرت كوديل R.godel .

المدرســـة الروســية :

تكونت عام 1915 وذلك حين وصل تلميذ دي سوسير :" كـــارسفسكي " الذي قام بنشر أفكار أستاذه في الأوساط الشبانية التي كانت مهيأة أو مستعدة لتقبل المفاهيم الجديـــــدة والعمل بها لتطوير الدراسة اللغوية التي كانت آنذاك خاضعة للمناهج التقليدية. ومن هؤلاء الشبان:

تروبتسكوي: 1890-1938م : هو من أقطاب مدرسة براغ ، روسي العائلة ، من طبقة النبلاء ، نشأ على الحريات العقلية والسياسية والمبادىء الليبرالية منذ صغره انغمس مبكرا فـــي البحث اللساني للباليوسيبيرية واهتم بعلوم الاثنولوجيا والاجتمـــاع وفلـــسفة التـــاريخ وتـــاريخ الحضارات التحق بجامعة موسكو سنة 1908م ، ناقش أطروحته حول مستقبل اللغة الهندية – اوروبية عام 1916م.ثم صار أستاذا فيها .وفي الحرب العالمية الأولى اضطرته الحـــرب إلـــى التنقل بين بعض المدن وإثر سقوط روستوف التي يدرس في جامعتها سافر إلـــى القـــسطنطينية عام 1919م.درس اللسانيات الهندوأوروبية بصوفيا والفيلولوجيا السلافية في فينا وصـــار فيهـــا عضوا في نادي براغ اللساني الذي كان يرأسه يومئذ [ما تيزيوس] توفي نيكولاي تروبتسكوي سنة 1938م .

جاكبسون: ولد بموسكو سنة 1896م واهتم منذ صغره باللغة واللهجـــات والفولكلـــور واطلع على أعمال دي سوسير وغيره ثم أسس النادي اللساني بموسكو وهو النادي الذي تولدت عنه مدرسة الشكلانيين الروس وفي براغ بتشيكسلوفاكيا أعد الدكتوراه سنة 1930 بعد أن أسس النادي اللساني ببراغ سنة 1920م .واتسمت بحوثه الصوتية والـــصرفية الإنـــشائية بمخـــاض البنوية التي تبلورت في خضمها عنده أهم المنطلقات الأساسية لعلاقة البحث اللـــساني الآنـــي الوصفي بالتعاقبي التطوري التاريخي. له نظرية في الخصائص الصوتية الوظيفية . رحل إلـــى

أمريكا سنة 1941ودرس في نيويورك وبعض جامعاتها ،حيث ترسخت أقدامــه فــي البحــث اللساني . من آثاره : «محاولات في اللسانيات العامة»

ونشأت مدرسة موازية لهذه المدرسة اللسانية ذات نزعة تقليدية سنة 1917م تسمى بالشكلانية الروسية التي كانت على مبدأ : إنّ الأثر الأدبي يتميز ببروز شكله ، فهي – كما نرى – تعيــد الاعتبار إلى الجانب الشكلي الذي غيّب في النقد الروسي التقليدي الذي كان مدنيا يعــوّل فــي التحليل للخطاب على العوامل الخارجية ويغفل الجانب الشعري الذي يميز الأثر الأدبــي عمــا سواه .

مدرســة بــراغ :

تعد هذه المدرسة امتدادا للمدرسة الروسية لأن جيل الباحثين في هذه المدرسة من النازحين الروس :

- كارسفسكي
- تروبتســكوى
- جــاكبسون

بالإضافة إلى اللغويين التشيكيين :

- متيزيوس Mathesieus
- ترانكــا Trenka
- فاشيــك Vachek

لقد بدأ التأسيس الأولي لهذه المدرسة سنة 1920م وهي السنة التي وصل فيها النازحون الروس إلى براغ ، وأخذ بعد ذلك طابعها المميز بدءا من عام 1928م ، أي تاريخ انعقاد المؤتمر الدولي الأول للسانيات في " لاهاي " هذا المؤتمر الذي ظهرت فيه بوضوح سمة الدراسة الصوتية الوظيفية(1) : للفونولوجية المعاصرة . وقد تتابعت المؤتمرات الدولية بعد ذلك منها :

---

[1] – يسمى مؤسسو مدرسة براغ منهجهم الخاص بالدرس الصوتي اسم " الصوتيات الوظيفية فونولوجيا (phonologi) ويتولى هذا العلم دراسة المعنى الوظيفي الصوتي ضمن نظام اللغة الكلي واستخراج الفنيات

- مؤتمر جنيف سنة 1933م .
- مؤتمر كوبنهاجن سنة 1936 م .
- مؤتمر باريس سنة 1948م .
- مؤتمر لندن سنة 1952م .
- مؤتمر أوسلو سنة 1957م .
- مؤتمر كمبريج (الولايات المتحدة الأمريكية) 1962م .
- مؤتمر بوخارست عام 1967م
- مدينة بولونيا بإيطاليا سنة 1972 .

والواقع أن لمؤلف دي سوسير " محاضرات في الألسنية العامة " أثرا بالغا في ظهور هذه المدرسة اللسانية التي انكبّ أعضاؤها على عقد ندوات متتالية توّجوها ببحوث لسانية وظيفية. هذه البحوث اللسانية الوظيفية تعدّ فرعا من فروع البنوية، لكنها كانت ترى بأن البنية النحوية والدلالية والصوتيات الوظيفية لا تحدد إلا بالوظائف المختلفة التي تؤديها أو تقوم بها في إطار المجتمع (1).

أسس مدرسة براغ:

تقوم هذه المدرسة على مبادئ لسانية قدّمتها في المؤتمر الدولي الأول للسانيات سنة 1928م. وكانت الأفكار المطروحة في هذا المؤتمر الأول " بلاهاي " تمثل برنامجا وأرضية للعمل اللساني الذي هدف إلى بحث أمهات القضايا اللسانية ، وبحث المسائل المرتبطة باللغة الأدبية واللغة الشعرية ووصف اللهجات السلافية .

تأسس نادي براغ اللساني سنة 1926م من العالم التشيكي [فيلام ماثيزيوس Vilem Mathesieus -1882-1945م] بمعية معاونيه :

وتحديد خصائصها وكيفية توزيعها: أي يدرس الصوت من حيث خصائصه التمييزية وهذه الخصائص تفرق وظائفها بين صوت وآخر في لغة معينة.

1- انظر أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص 52 .

- إنيكولاي تروبتسكوي1890-1938م Prince Nicolai Trubetzkoy] الذي يعد من أبرز أقطاب هذه المدرسة في مجال الصوتيات الوظيفية أو الفونولوجية بمؤلفه : مبادئ الفونولوجيا سنة 1939م .

- و أرومان جاكبسونRoman Jakobson الروسي الأصل المتخصص في اللسانيات المقارنة والفيلولوجيا السلافية . وهو مؤسس نادي موسكو اللساني الذي بحث مسائل الشعر والنظم وعلم الجمال والعروض وبهذا أسهم في بعض النظريات الأدبية المعاصرة .شغل نائب رئيس نـادي براغ. وأهم ما جاء به جاكبسون نظرية وظائف اللغات الست التي اهتدى إليها في إطار نظرية الاتصال التي ظهرت لأول مرة سنة 1948م وهي نظرية تقوم على ستة عناصر أو وظـائف يستند إليها الخطاب اللساني عموما وهي: 1- المرسـل(Destinateur) 2- المرسـل إليـه (Destinataire) 3- والرسالة (Message)التي تمثل محتوى الإرسال 4- وتستند إلى سياق أو مقتضى حال (Contexte) 5- وتستند إلى شفرة اتصال .(Code) 6- وتقوم على أداة أو صلة اتصال (Contact).([2])

- وكالر بوهلرKarl Buhler 1879-1963م.

- وليام لبوف : William Labovوهو لساني أمريكي اقتنع بما رأتـه مدرسـة براغ من أن في اللغة عددا من الأساليب النطقية والأدبية التي تتنـاغم وتتناسـب مـع الطبقات الاجتماعية ومقتضيات المواقف والسياقات المستعملة فيها ؛ لذا عمـل علـى تطوير الفكرة في شكل نظرية أكد فيها على :

- تنوع الأساليب في المجتمع.
- ألح على درجة الرسمية وغـيرالرسمية في الخطاب في عمر المتكلم وتكوينه ومحيطـه وبيئته وطبقته .

2- انظر د.عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ، ص 157-158.وكذا أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، 148.وكذا د.نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 354وما بعدها .

▪ وإذا كان دي سوسير قد عني بالمستوى الآني الاجتماعي للغة وعزف عزوفا عن جانبها التاريخي التطوري التعاقبي رأي غير صائب من الناحية العلمية والعملية معناه أن متكلم اللغة لا يعيش إلا حاضره اللغوي.أما مدرسة براغ ومنهم اللساني الأمريكي [ليبوف] فاعطوا عنايتهم المركزة للامتداد الاجتماعي للغة وربطوا بين الدراسة الآنية الوصفية في اللغة وبين دراستها التطورية التعاقبية بهدف الوصول إلى تفسير أكثر دقة في المبحث اللغوي .([1])

- وكلارسنسكي .
- مارتني (Andre Martinet) الذي كانت له اتصالات مع علماء نادي براغ اللساني وشارك في أعمال نشاطاته ومتابعة تطور نظرية الرياضيات اللغوية (الغلوسيماتيك Glossematics). وهو من أشهر اللسانيين الفرنسيين المعاصرين. ساهم في إزالة الفصل بين علم الأصوات (Phonetics) المنسوب إلى العلوم وبين علم الأصوات الوظيفي(Phonology)المنسوب إلى الدراسات الإنسانية .لأنه عد الأصوات نوعا من الصوتيات الوظيفية. وهو منظر في الأصوات الوظيفية الزمانية التي قصد من خلالها التركيز على تفسير اللغة بالاعتماد على مصطلحات سهلة خالية من الغموض كمصطلحات : اللغة(Langue) والجملة (Phrase) والوحدة الصوتية (Phoneme)([2])والوحدة الصرفية المونيم التي تقابل المورفيم في بعض النظريات الحديثة.

---

1 – انظر احمد مومن،اللسانيات النشأة والتطور، ص150، 151.

2 – الوحدة الصوتية [الفونيم] حديثة نسبيا في علم اللغة ، أدركها جمع من العلماء منهم : باسي Passy ، وميي Meillet ، وجرامون Grammen ، ونورين Noree ، والدانماركي جسبرسن gesperssen الذين اهتموا بالأصوات. فالفونيم وحدة صغرى في النظام الصوتي لأية لغة وظيفته التفريق بين معاني المورفيمات فالذي يفرق بين معنى [مات] و [بات] هو الصوت أو الفونيم الأول من كل كلمة والفونيمات مجردة من معاني تخصها ولكنها استعملت لبناء وحدات ذات معنى هي المورفيمات والكلمات .إنه وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معني الكلمات .أما المورفيم فوحدة مميزة صغرى في التحليل القواعدي في مستوى الصرف بخاصة وهو مفهوم علمي بديل لمفهوم الكلمة لصعوبة التعامل معها فلأن لفظ كلمة قد ينصرف إلى البنية المركبة قواعديا .وهو أصغر وحدة ذات معنى في تركيب اللغة.ويعرف أيضا بأنه سلسلة

وبعبارة أخرى كان منهج الطرح يتوخّى دراسة نظام اللغة الكلي ومستوياتها المختلفة : الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية دراسة وظيفية حقيقة. لذا اتجه الباحثون في منهج دراستهم إلى جعلها تبحث الصوتيات الوظيفية الآنية والصوتيات الوظيفية التاريخية واعتماد التحليل الوظيفي وتصنيف ما وجدوه من تضاد فونولوجي ، وهو الذي جعل نادي براغ اللساني

من الفونيمات ذات المعنى لا يمكن تقسيمها بدون فقدان المعنى أو تغييره مثل لفظ: كتابان ، فيها مورفيمان الأول [كتاب] وهو يشير إلى شيء محدد معروف ،والثاني المورفيم [ان] وهو يشير إلى التثنية ،ولا يمكن تقسيم المورفيم [كتاب]] أكثر لأنه حينئذ يفتقر تقسيمه إلى معنى مثل إك] و[تاب] جزءان كل منهما بلا دلالة .انظر ر.هـ . روبنز موجز تاريخ علم اللغة ، ص80-18-28 ،وكذا رومان ياكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ط1 2002م ، ص115،وانظر برتيل مالبرج ، علم الأصوات ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب المنير1985م، ص 220 وما بعدها . وكذا د. محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ، ص219-220-221-222 ،ود. محمد رشاد الحمزاوي ،المصطلحات اللغوية الحديثة ، ص150، 151، 196.

وقد قسمه محمد الأنطاكي إلى ثلاثة أقسام : الأول مورفيمات صوتية تتضمن أصواتا زائدة إلى العناصر الصوتية في الكلمة وفيها أصناف : صنف يتألف من صوت واحد كالضمة القصيرة في قولك [فاز الطالبُ] الدالة على المقولة النحوية الفاعلية يسميها علماء النحو العربي [الإسناد] فالمورفيم كعنصر صوتي دال على مقولة نحوية شائع في استعمالات اللغة العربية كما هو في ضمة الإسناد القصيرة وفي ضمة الأسماء الخمسة الطويلة [حج أبوك] والفتحة الطويلة في أكرمت القرية [أباك] الدالة على مقولة نحوية المفعولية ،والكسرة الدالة على التبعية [يتروك العرب] ومنه النون الساكنة الدالة على دلالة وهو عنصر صوتي دال على معنى نحوي هو التنكير ومنه مررت بسيبويهِ وسيبويهٍ آخر، ومنه [فازت] الطالبة الدالة على وقوع الفعل من مفردة مؤنثة غائبة ،ويمكن للقارئ أن يستحضر من معلوماته هذا النوع من المورفيمات المؤلفة من صوت واحد من رصيده النحوي والصرفي ليدرك ما تعلق منها بما نحن بصدده ،وصنف ثان مكون من مقطع طويل وهو كثير في العربية مثل الحروف الدالة على المعاني ؛ ويمكن الرجوع إلى المرادي الحسن بن قاسم (ت 749أو 755هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني،وكذا ابن هشام الأنصاري ،(الجزء الأول)من مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .الثاني المورفيمات التحريفية :التي تحوّر أو تحرف فيها الأصوات دون زيادة شيء عليها مثل : حِمار حُمير: الأولى للمفرد والثانية للجمع فصيغة الجمع مقولة نحوية لم نزد صوتا عليها بل نقلنا الكسرة التي بعد الحاء إلى ما بعد الميم مع إطالتها وهو يقوم على تغيير موضع الصوت كما هو في جمع التكسير أو على إبدال صوت بآخر مثل [أسد- أسود] أبدلت الفتحتان بضمتين للجمع ومنها المورفيم القائم عل موضع النبر في الكلمة وهو يكثر في اللغة الإنجليزية والقائم على إطالة الصوت مثل [جمَع - جمَّع] أو على تقصير الصوت نحو [حَاذِرْ- حَذِرٌ] الأولى فعل أمر والثانية صفة .المبني على التنغيم الذي يجعلنا نميز بينها إذا كانت الجملة استفهامية أو إخبارية أو تعجبية .الثالث:المورفيمات الترتيبية ،وهو نوع نادر في العربية لأن اللغة العربية تعتمد في أداء معانيها النحوية الوظيفية على المورفيمات الصوتية التي تتمتع بحرية من حيث موقعها في الجملة لا على الترتيب وهو مورفيم : [الإعراب]. انظر محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة مكتبة دار الشرق ، سورية ، بيروت ط3، ص 291وما بعدها. أما المونيم فيحدده مارتيني من خلال التقطيع المزدوج للغة بأنه :أصغر الوحدات الدالة في الواقع المتدرجة تحت الكلمة مثل كلمة [أساسي] أساس تمثل وحدة المعنى . أما [الياء] فتمثل وحدة النحو.انظر د. صالح بلعيد ، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني د، م، ج الجزائر 1994م ، ص 60.

يسمى [مدرسة براغ]أو [المدرسة الوظيفية] أو [المدرسة الفونيمية] وتعرضوا إلى الأسلوبية الوظيفية وجمالية اللغة وما تؤديه في الأدب والفنون والمجتمع .([1])

ويمكن حصر القضايا اللسانية فيها كالتالي :([2])

القضية الأولى :

تعد اللغة في نظر هذه المدرسة ذات طابع غائي ، وظيفي ، وهي نتاج النشاط الإنساني، ووسيلة تعبير لتحقيق غاية مستعمل اللغة فيما يريد إيصاله والتعبير عنه. وهو طرح لغوي عبر عنه ابن جني (ت 392هـ): في تعريفه المشهور للغة : " أما حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم) .(3)

القضية الثانية :

وهي تتعلق بمهام المنهج الآني(الوصفي) والنتائج المترتبة عنه وبعلاقته بالمنهج الزماني (التاريخي). لذا ترى مدرسة " براغ " أن الوسيلة الناجحة التي تمكننا من الإحاطة بجوهر اللغة وبخصائصها تكمن في التحليل الآني الوصفي للظواهر اللغوية الحالية. لأن التحليل الوصفي وحده الذي يمثل مادة كاملة تناسب الواقع اللغوي ، ولا تعارض الدراسة اللغوية الآنية مع الدراسة اللغوية التاريخية لأن انحصار التعاقب يؤول إلى التحدد والآنية في المبدأ.

ورغم فضل دي سوسير على جماعة " براغ " فإنهم خالفوه في النظر إلى العلاقة بين الدراستين اللغويتين :الآنية (الوصفية)والزمانية (التاريخية)لأن الحدود بينهما أقرب إلى التجريد منها إلى الواقع اللغوي ، ويدل واقع الدراستين على أن المنهج الآني لا يتعارض مع المنهج التاريخي والعكس صحيح كذلك إذ يقوم المنهج التاريخي على مصلحة العينات الآنية وواضح أن العينة الآنية أسبق من الدراسة التاريخية ، وعلى العموم لا يتنافيان .

القضية الثالثة :

اعتماد المنهج المقارن في البحث اللساني ، إذ استعمل كل القضايا المتعلقة بالجانب التكويني للغات ومدى الصلات التي تربط بعضها ببعض . وقد ألحت هذه المدرسة على

---

[1]- انظر احمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136

[2] – انظر د. نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص347وما بعدها.

[3] – الخصائص ، ج 1 ، ص33 .

استعماله بكيفية أوسع بغية كشف القوانين التي تحكم بنية اللغة في أنساقها المختلفة ومدى التطور الذي عرفته هذه الأنساق ومرت به في مراحلها.

وإن كان يحق لنا أن نتساءل : كيف تمت دراسة جوانب النظام اللغوي في مدرسة براغ ؟ فإن جوابه يوجه إلى المستويات التالية :

أ- الدراسة الصوتية. ب – الدراسة الصرفية ج – دراسة البنى التركيبية .

أ- الدراسة الصوتية:

هناك فرق بين علم الأصوات[1](la phonétique) و(علم الأصوات الوظيفي la phonologie)[2]وقد ركزت مدرسة براغ على دراسة الفونيم لأنها تعدّ الفونيمات(الأصوات) تنتمي إلى (اللغة) بينما عدت الأصوات الكلامية تنتمي إلى (الكلام) ، لذا انكبّت على دراسة الفونيم وتطوير نظريّة الأصوات الوظيفة (النظرية الفونولوجية) بل وسّع بعض أعضائها من دراسته ليشمل مجالات أخرى في الدرس اللساني مثل بحث الأسلوب والأسلوبية، ذلك أن

1- وهو العلم الذي ينظر في الأصوات في حد ذاتها ، ويدرس صفاتها ومخارجها أي الجانب الفيزيولوجي العضوي (الجهاز الصوتي) والطريقة التي تنتج بها أصوات اللغة و الصوتيات السمعية و يشمل علم الأصوات على أربعة فروع : 1- علم الأصوات العام الذي يدرس الإمكانيات الفيزيقية للإنسان. 2- علم الأصوات الوصفي الذي يدرس خصائص الصوت في لغة ما .3- علم الأصوات التطوري (التاريخي) المهتم بدراسة التغيرات الصوتية الحادثة للغة من خلال تاريخها .4- علم الأصوات المعياري ويتمثل في القواعد الممكنة – التي تتحكم في النطق السليم للغة معينة ضمن مجموعة لغوية أو دولة معينة أو مقاطعة أو وحدة ثقافية أو مجموعة اجتماعية . إن علم الأصوات فرع من علم اللغة لا يعني إلا باللغة المنطوقة . انظر برتيل مالرج ، علم الأصوات ، تعريب ودراسة د.عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ،القاهرة، 1985م ص 6-7-8 . وكذا د.محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ص 131 .

2- علم يدرس الأصوات من حيث وظائفها في الاستعمال اللغوي ، وهو متفرع عن علم الأصوات يدرس الخصائص التمييزية للصوت التي تميز أو تفرق وظائفيا بين صوت وآخر في لغة ما .أي يدرس وظيفة الصوت في اللغة من ناحية سبب قلته وعلة كثرته في هذه اللغة أو تلك وقبول مجاورته لهذا الصوت وعدم قبوله ...أي النظر في القواعد الصوتية التي تنتظم وفقها أصوات لغة معينة وتتآلف ويسمى علم الأصوات الوظيفي كذلك [علم التشكيل الصوتي]. ويرى مارتيني الفرنسي أن الفرق بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي هو أن علم الأصوات يدرس الأصوات من غير أن يعير اهتمامه إلى لغة معينة بينما يدرس علم الأصوات الوظيفي الأصوات من ناحية الوظيفة التي تقوم بها في لغة من اللغات ، وهو التمييز الغالب عند الباحثين بين العلمين المذكورين . انظر د. نور الهدى لوشن،مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 349- 350. وكذا د.محمد رشاد الحمزاوي،المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية،الدار التونسية للنشر 1987م،ص 134،137 .

الأسلوب : طريقة دمج العطاء الفردي في عملية محسوسة تظهر في كل أعمال الممارسة. أمـا الأسلوبية فتحليل لغوي موضوعه الأسلوب وشرطه الموضوعية وركيزته الألسنية .[3]

ولسنا ممن يرى علم الأصوات الوظيفي أو علم التشكيل الصوتي من العلوم الحديثة الخالصة لأن مباحث هذا العلم كانت معروفة عند علماء اللغة العربية قديما ؛ وعلى هذا الأساس لم تكن مسائل تعلق الأصوات بعضها ببعض مخلوقة من العدم في هذا العصر الحديث بل جمعت الآراء المتعلقة بمباحثها الصوتية تحت هذا الاسم هو الحديث ، فالحداثة للاسم وليست للمباحث التي عرفت قديما كالعلماء العرب –على الأقل– الذين دققوا فيها. وقد شهد لهم المحدثون بالأعمال العلمية الجليلة التي أدركوها في زمانهم خدمة للعربية ولغة القرآن بخاصة في ناحية أدائه وترتيله، أوصلهم إلى التدقيق الوصفي للصوت العربي مخرجا وصفات بما يكشف عن أنهم يملكون فكرة تتضمن خلفية وخطوطا لهذا المستوى من الدراسة. ولا ريب في أن محاولات الخليل بن أحمد الفراهيدي في هذا المجال قصدت وعي أسرار العربية من خلال أقواله التي أملاها على سيبويه وعلى الليث بن المظفر وما نقل له– للخليل بن أحمد– في تهذيب اللغة للأزهري وكتاب الجمهرة لابن دريد)[2](التي لم يقتصر فيها على بحث المستوى الصوتي في مخرجه وصفته لا غير كما فعل علماء اليونان وفلاسفتهم أو كما انتهى إليه علماء الهند بل اتسم بحثه بالسمة العملية التي أفادت لاحقا أصول النحو في مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

ب–الدراسة الصرفيــة :

وهي دراسة تدور حول " المورفيم Morphème الوحدة المميزة الصغرى في التحليــل القواعدي ، وله أهمية خاصة في الدراسة الصرفية. ويعدّ بديلا علميا لمفهوم "الكلمــة" وذلــك لصعوبة التعامل بها في مجال الدرس الصرفي لأنه يمكن أن يكون المراد بها أي بالكلمة : البنية التركيبية كأن تقول :[**ألقى الرئيس كلمة**.] وأنت تقصد بـــ [كلمة] **خطابا** ، لذا ينظر إلـــى "

---

[3]-انظر د. جوزيف ميشال شريم ، دليل الدراسات الأسلوبية ،المؤسسة الجامعة للدراسات ، بيروت ط1 / 1984 / ص 37 –38 .

2- انظر د.مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو،دار الرائد العربي،بيروت ط3، 1986م،ص 168

المورفيم " بوصفه وحدة وظيفية صغرى في تركيب الكلمات ، فكلمات مثل:(رجل– حصان– في– على)هي كلمات ومورفيمات في آن واحد يمكن النظر إليها هكذا.غير أن كلمة:(عقولنا) نستطيع أن نحللها إلى ثلاثة مورفيمات :عقل+مورفيم الجمع (صيغة الجمع)+ نا. ومورفيم الجمع تحقق في مستوى النطق الفعلي وهو مورفيم مجرد . وقد لا يتحقق المورفيم في الكلام المنطوق ، فهو مورفيم مغاير ، ويطلق عليه هنا مورفييم مغاير ذو وضع " صفر " أو فارغ نحو قولك : " شمس " التي لا أثر فيها لعلامة التأنيث كما ترى ، لذلك نقول : إن التحقق المورفيمي فيها :[صفر – فارغ] .

ويمكن تحليله كما يلي:(شمس + تأنيث Ø) وقد نلاحظ في التركيب مثلا ما يعوض تحقق مرفيم التأنيث كأن نقول : الشمس أشرقت. والمورفيم حر ، ومقيد . الأول مستقل نحو : [رجل –حصان – ولد]. أما الثاني فلا يأتي في الكلام إلا مرتبطا بغيره نحو (الـ) في قولك: [الرجل].أو الألف و التاء في قولك: [فتيات]. والهاء الضمير في كلمة:[بحثه] [1] والتأنيث في كلمة [جامعة] .

ج– البنى التركيبية:

بنت مدرسة براغ تحليلها للتركيب على منظور الجملة الوظيفي الذي حاول [فيلام متيزيوس Vilem Mathesius 1882- 1945م] تطويره وتطبيقه على اللغة التشيكية والإنجليزية وبعض اللغات الأوربية. والمحصلة في هذا المجال أن الشكل العام لمنظور الجملة الوظيفي في اللغات كلها قائم على الترتيب المفرداتي. وقد بنت مدرسة براغ منهجها على الأساس في تحليلها للجمل وذلك بالنظر إلى مضمونها الإخباري وهو مطبق حتى الآن في تشيكوسلوفاكيا وبعض الدول في أوروبا .فكل عنصر أساسي في الجملة له مساهمة أو دور دلالي وذلك بحسب الفعالية التي يقوم بها في عملية الاتصال.

و يمكن النظر في هذا الإطار إلى ترتيب مكونات الجملة كما يلي :

أ– يأتي " الموضوع " أولا.

1– انظر ر.هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة،ترجمة د. أحمد عوض،عالم المعرفة عدد 227،الكويت 197م،ص8، 9 .

ب- يليه " الخبر " ثانيا.

وفي حالة التوكيد على " الخبر " يلجأ إلى التقدم أو التأخـــير .[2]

المدرسة الإنجليزية: الأسس:

تأسست هذه المدرسة على نزعتين :

الأولى: على الأصوات الوظيفية(أي الفونولوجية)وبمعنى آخر كانت تنطلق في بحثها ودراستها من المبادئ الفونولوجية التي وضع أسسها اللسانيون[بال Bell] وابنه[هنري سويت H. Sweet 1845-1912م] والعالم [دانيال جونز D.Jones 1881-1967م].جاء بعده اللساني[جون فيرث John Furth 1890-1960م]الذي تأثر بالنظريات اللغوية الهندية واعتقد أن تطور النظريات اللغوية يستلزم الدراية الدقيقة بمباحث الأصوات اللغوية .

الثانية: بنت فيها على النزعة الدلالية الثقافية التي مثّلها العالم اللساني "فيرث" (ت 1960 م). وعلى العموم ركزت هذه المدرسة في بحثها الظواهر اللغوية على السياق ومقتضى الحال.([3])

مدرسة كوبنهاجــــن:

ظهرت مدرسة كوبنهاجن في مطلع القرن العشرين،تأثرت بالمفاهيم الجديدة التي جاء بها دي سوسير. رأى بعضهم بأنها لا تمثل مدرسة بالمعنى الكامل للكلمة،بل مجرد نظرية لسانية.وعدها بعضهم الأخر مدرسة كوبنهاجية أو مدرسة دانماركية لأن المؤسسين الأوائل كانوا دانمركيين .

حاول أصحاب هذه المدرسة التجديد في طريقة دراسة اللغة والإعراض عن الأساليب التقليدية واعتماد الدراسة العلمية،وقد وظفوا في بحثهم اللساني المصطلحات الغربية وصاغوا العناصر اللغوية في شكل رموز جبرية ذات سمة رياضية واستعملوا التراكيب اللغوية في شكل معادلات رياضية الأمر الذي ترتب عليه رد فعل قوي من اللسانيين والمفكرين والفلاسفة.

2-انظر ، أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ص 140- 141 .

[3] - انظر أحمد حساني مباحث في اللسانيات ص 52-53.

مؤسسو هذه المدرسة:

أولا- الدانمركي لويس يلمسلاف **Louis Hjelmslev** (ت 1965م) صاحب النظرية البنيوية التحليلية (الرياضيات اللغوية)تتلمذ في باريس على اللساني : [مايي Meillet] وشارك في النادي اللساني بكوبنهاجن سنة 1931م .وقد حرص على وضع نظرية بنوية علمية وصفية شمولية للظاهرة اللغوية ،بناها على مقدمات منطقية ومبادئ معرفية تفسيرية:

أولها:مبدأ التجربة معتمدا على الملاحظة والتجريب والجمع بين ثلاثة معايير (اللاتناقض والشمولية والتبسيط).

ثانيها:مبدأ الإحكام والملاءمة التي تخضع نظريته للاتساق والنتائج الطبيعية المتلائمة مع مقدماتها البدهية المنطقية وبذلك تكون ناجعة،ونجاعتها متوقفة على مدى خضوع مقدماتها لشروط التطبيق في إطار المعطيات التجريبية ، وهو ترك مؤلفات منها :« مقدمة في النظرية اللغوية ، مقدمة في اللغة ، محاولات لسانية»([1]) وهو يرى خمس سمات أساسية تقوم عليها البنية الأساسية لكل جملة كما يلي :

1- المضمون والتعبير.

2- تتألف اللغة من التتابع أي نص ونظام.

3- يتصل المضمون بالتعبير اتصالا وثيقا أثناء عملية الاتصال.

4- توجد علاقات محددة ضمن التتابع والنظام.

5- لا يوجد تطابق كلي بين المضمون والتعبير (1)

ثانيا – جاسبرسن (ت 1942م) ومن أهم كتبه : اللغة ، نشر عام 1922م .

ثالثا- بدرسن pedersen، من أهم كتبه: علم اللسان في القرن التاسع عشر ويمكن القول : كان تبلور هذه المدرسة حين أسس (يلمسلاف) مع صديقه (بروندال) يلدال

- انظر د .عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربي للكتاب ،ط2، ص255،وكذا أحمد مومن ،
[1]- اللسانيات : النشأة - والتطور، ص 163-164.

1- انظر أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 160- 161 .

(brondall uldall) "الحلقة الدانمركية للعلوم اللسانية عام 1931م على غرار حلقة براغ، وقد نشر لسانيو هذه المدرسة أعمالهم اللسانية باللغات : الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية [2] .

لقد أضفى هؤلاء الباحثون صبغة علمية على دراساتهم اللغوية وعمدوا فيها إلى توظيف المصطلحات الغربية، واستعملوا الرموز الجبرية، وصاغوا تراكيب اللغة في شكل معادلات رياضية أحدثت ردود أفعال من الباحثين اللسانيين كما أسلفنا.

كان " يلمسلاف " دانماركيا درس الفترة الجامعية في كوبنهاجن ثم سافر للدراسة وطلب العلم في براغ عام 1923م.ثم انتقل إلى باريس واتصل فيها بالباحث [Meillet مايي] و[وفندرايس Vendriez] واستفاد من محاضرتهما في البحث اللغوي ، وتعرف على أفكار دي سوسير ومناهجه،وهذا ما ساعده على بلورة نظرية العالمية الجديدة التي تعرف : الغلوسيماتيك: وهي نظرية تتجنب البحث اللساني المتأثر بالفلسفة والأنتروبولوجيا واللسانيات المقارنة، لذلك فإن "نظرية الغلوسيماتيك" تهدف إلى إقامة لسانيات علمية مبنية على أساس رياضي ، منطقي، وكلي في وصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها تفسيرا موضوعيا .

وقد قال يلمسلاف في هذا السياق : " إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي يمكن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل . إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية والتعريفات والنظريات المحكمة التي تمكن من إحصاء كل إمكانيات التأليف بين عناصر النص الثابتة " [3]

فمصطلح غلوسيماتك « glossematics » مشتق من الكلمة الإغريقية glossèmes الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة وتنقسم بدورها إلى قسمين:([1])

2- انظر أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص 53 .

3- انظر أحمد مومن ، اللسانيات،النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2002م ،ص 159 – 160" الجلوسيماتيك " مشتق من الكلمة اليونانية : glosa بمعنى كلمة أو لغة، ومنها كلمة glossary بمعنى قائمة مفردات : ويترجمها بعض الدارسين بالعربية باسم " التعليق " انظر د. كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1992 م ، ص60 .وعلى الدارس أن يعلم أن عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) قد استعمل مصطلح " التعليق " في كتابه دلائل الإعجاز :" أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضه ببعض ويبنى بعضه على بعض " دار المعرفة ، بيروت ، ص 44.

1. انظر م ن ، ص160

1- وحدات التعبير وتدعى سوائم les cenemes

2- وحدات المحتوى وتدعى مضامين les pleremes.

فالوحدات ذات المحتوى مثل (مورفيمات) في مدرسة براغ Morphèmes ،أو(لفاظم) Monèmes: في مدرسة جنيف : أصبحت كلها تدعى : " مضامين " أو مكونات دلالية . (pleremes)

وقد ظهر عام 1935 مصطلح الفونيماتيك الذي استبدل عام 1936م بمصطلح سوانمتيك، ومصطلح التعلق Corrélation للدلالة على العلاقات الإستبدالية ومصطلح علاقات relation للدلالة على العلاقات الركنية الأفقية ، ومصطلح وظيفة Fonction للدلالة على العلاقة الأفقية بين أي مفردتين ، فمفهوم الوظيفة يدل على كل علاقة غير مادية ومجردة وشكلية، وقد استعمل يلمسلاف في إطار هذا المصطلحات([1]) :

- مستوى التعبير.

- مستوى المضمون،والنظام،والنص،والتحليل،والمتغير،والتحفيز والنمط، والموظف،ويدل ثنائية دي سوسير بأخرى لطلق عليها: النمط - والنص (أو الاستعمال)،وقد أشرنا قبل إلى السمات الأساسية لبنية الجملة عنده.

والأهم في هذه النظرية ليس الأصوات والحروف والمعاني في ذاتها بل علاقاتها المتبادلة في إطار السلسلة الكلامية والنماذج النحوية، فهذه العلاقات هي التي تصنع نظام اللغة الداخلي وتجعل اللغة تتميز عن باقي اللغات الأخرى.

ولا يخفى بأن هذه النظرية (الغلوسيماتيك) قد اهتمت بالمصطلحات اللسانية وبحثتها بحثا دقيقا وهو ما يبدو من خلال بعض الكتب التي ألفها " يلمسلاف " حين ذكر ثبتا لهذه المصطلحات في أخر كتابه:" الرياضيات اللغوية " Glossementic . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن النظرية المذكورة لاقت شهرة سيئة نتيجة المصطلحات المعتمدة فيها والتي تتميز بالصعوبة والغموض.

---

[1] - انظر م ن ، ص 160

وعلى العموم إن المبدأ الأساسي في اللغة عند دي سوسير هو: عَدُّ اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الوحيد للسانيات، هذا المبدأ أصبح عند "يلمسلاف " في اصطلاح يطلق عليه "المحايثة" [1] l'immanence أي عكس " التسامي " tranxendance ونقيضه وعوّض ثنائية الدال والمدلول بثنائية أخرى هي كما ذكرنا سالفا:

أ – مستوى التعبير.

ب – ومستوى المحتوى .

وبأن اللغة تتكون من هذين المستويين تجمع بينهما علاقة وهذه العلاقة هي:العلامة اللغوية signe linguistique وكل مستوى يخضع إلى ثنائية أخرى هي ثنائية الشكل والمادة، ونتج عن هذا التعليق أربع طبقات :

أ – مادة المحتوى (وهي الأفكار) .

ب – شكل المحتوى (وهي البنية التركيبية والمعجمية).

ج – شكل التعبير (الفونولوجية :الصوتيات التطبيقية).

د – مادة التعبير (علم الأصوات : الفونتيك [2] La phonétique) .

لقد كانت مدرسة « كوبنهاجن » امتداد لمدرسة «براغ » وللاتجاه البنيوي الذي بدأته حلقة «براغ» تأكيدا لفكرة دي سوسير في إعطاء النظام أو النسق المرتبة الأولى على العناصر وعلى ذلك قال يلمسلاف : لا يكفي القول أن الوحدة اللغوية لا تعرف إلا بغيرها من الوحدات أو العناصر بل يجب القول : إنها مكونة من مجموع علاقاتها بباقي الوحدات أو العناصر .

وهذه العناصر ذات علاقة خاصة فيما بينها إذ لكل عنصر منها علاقة محددة بمجموع العناصر، والشيء القابل للوصف هو تلك العلاقات التي يعتمد فيها بعضها على البعض الأخر، وينبغي أن يتجه بحث هذه العلاقات بين العناصر اللغوية إلى كشف نوع العلاقات أو العلاقة التي تربط مثلا هذا العنصر ببقية العناصر،وهذا يبيّن الأساس النظري لنظرية «التعليق»

1- وجهة اللسانيات " المحايثة " هي عبارة عن نظام تحليلي لغوي مستقل عن الظواهر غير اللغوية متحرر عن الفيزياء والفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماع. انظر أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ،ص 161–162.وكذا انظر معنى المحايثة : د. عبد السلام المسدي، العربية والإعراب ، ص 89 .

2 -انظر م ن ، ص 162.

«الغلوسيمانتيك glossemantics»[3]ونشير هنا إلى التفسير الذي قدمه عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) لعملية إنتاج الكلام التي اعتمد فيها على أربعة عناصر : النظم –البناء– الترتيب– التعليق. قال : « واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك.. »[1] ؛ لذا لم يكن الأساس المعرفي للغلوسيماتيك المعتمد في منظور اللسانيات المعاصرة غريبا عن الدرس اللغوي العربي ولا عن الإجراء البحثي التحليلي للغة في تراثنا وإنما كان بمصطلحه واضح التمثل والتصور في تحديد وتدقيق.

يرى التابعون لمدرسة كوبنهاجن علم اللغة نظير المنطق لأنهم يرون أن البنية اللغوية كيان صوري مستقل مجرد يشتمل على نوع من المعادلات الجبرية اللغوية بعيدا عن المعاني وعن الأصوات، لذا قرر" يلمسلاف"رائد هذه المدرسة بأن اللغة كيان حر ذو علاقة داخلية، ووضع مقابل الثنائية التي اعتمدها دي سوسير في التفريق بين اللغة والكلام تصوره هو عن اللغة وبناه على ثلاثة أسس :

1 – الهيكل: يمثل اللغة باعتبارها شكلا صوريا نموذجيا في الوقت ذاته.

2 – القاعدة: تمثل اللغة بوصفها شكلا ماديا يستخدم للتكلم.

3 – الاستعمال: يمثل اللغة باعتبارها مجموعة عادات خاصة بالمتكلمين.

فأنت ترى – حين نترك القاعدة – أن (الهيكل) يقابل مصطلح (اللغة) لدى دي سوسير بينما يقابل" الاستعمال" مصطلح" الكلام".

إن نظرية يلمسلاف امتداد لما رآه دي سوسير من حيث بلورة بحثه في إطار التأسيس العلمي والإضافة والاستبدال الذي قام به وقد ذكرناه قبل.

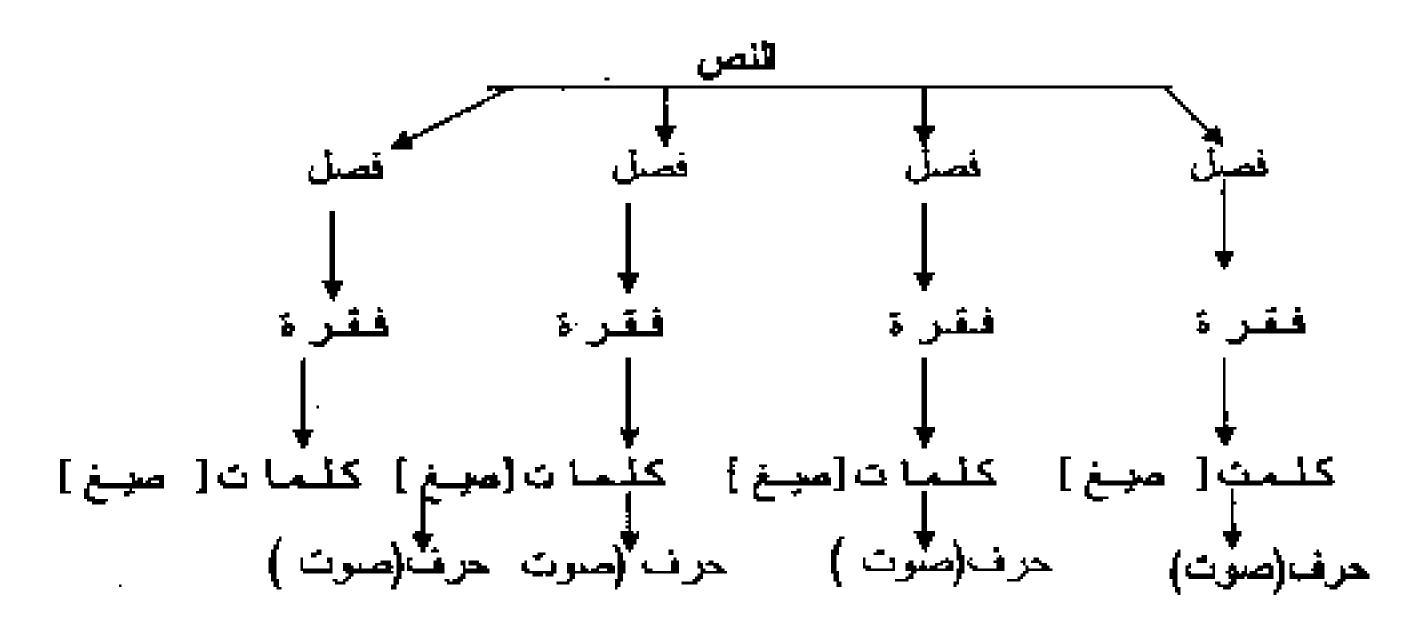
3–انظر د.كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1992م ص 60 ،61.

1 – دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، 1978م،ص44 (راجع تفصيل ذلك).

تحليل يلمسلاف للغة:

يعدّ يلمسلاف المنهج الغلوسيماتي المنهج الواحد لتحليل العبارات المكتوبة والمنطوقة وذلك أن أهم شيء في اللغة- كما يرى- هو بنيتها الشكلية التي تنتظم في نسيج من العلاقات التي تربط عناصرها بعضها ببعض وليست المادة التي تتكون من هذه العناصر. يبدأ المنهج الغلوسيماتي دائما بالوحدات الكبرى ثم الصغرى فالأصغر منها ...الخ .وهو منهج يتناول النص المكتوب أو المنطوق ويقوم بتحليله تدريجيا إلى:فصول،وفقرات،وجمل،ومفردات(وغلوسيمات الوحدات النحوية الصغرى)، وحروف، وأصوات. نوضحه في الشكل 7 كما يلي:

شكل7:



والهدف من المنهج المذكور الوصول إلى إرساء قواعد كلية خاصة باللغة عموما تعتمد في التطبيق على صياغة الفرضيات الموضوعية وعلى الحقائق أو القوانين التجريبية.

ولهذه النظرية مآخذ ذكرناها قبل : كالغرابة في المصطلحات المنفرة، واعتماد القوانين الجبرية والرياضية في شكلنة التحليل اللغوي الوصفي. وهذه السمة جعلت البعض يرى بأن إقحام الجبر في الدرس اللساني يمثل جانب الضعف القوي في هذه النظرية الغلوسيماتية.

ولكن ذلك لم يمنع هذه النظرية من جمعها بين التحليل اللغوي التقليدي ومظاهر الدرس اللساني الحديث بالغم من مبالغتها في اعتماد المصطلحات الجبرية والرياضية. وهي لا تزال حتى الآن تتمتع بمكانة عالمية يدل على ذلك بروز اللسانيات الرياضية أخيرا في أكثر من مبحث

ودراسة . وعلى أية حال حاول يلمسلاف عصرنة الدرس اللساني باعتماد المنهج العلمي الرياضي .[1]

المدرسة الأمريكية:

ارتبط نشوء هذه المدرسة في النصف الأول من القرن العشرين بعلم "الأنثروبولوجيا" لأن المؤسسين الأوائل اعتمدوا في وصف لغات المجتمعات التي قاموا بدراستها وتحليل لغاتها على مناهج الأنثروبولوجيين، وهي لغات الهنود الحمر في أمريكا التي تخلو من التاريخ المعروف والوثائق المكتوبة أو المخطوطات المقيدة.وكان من أبرز الدراسات في ذلك كتاب : فرانز بوب 1858-1942م Franz Bob [2]: [الموجز في اللغات الهندية الأمريكية] الذي ذكر فيه مقدمة هامة عن علم اللغة الوصفي ([1]) وكان أول تصنيف في هذه اللغات قد نشر عام 1891م من :ج. و.باول[J.W.powel]

هذه المدرسة تمثل اتجاها ثالثا في الدراسة اللغوية كان الفضل في نشرها في أوربا لرائد هذا الاتجاه وهو(ليونارد بلومفيلد (ت 1949م) وكتابه:[اللغة] الصادر عام 1933م وهو أهم دراسة منهجية في علم اللغة بعد كتاب : دي سوسير.

– تأثر أتباع المدرسة بالمذهب السلوكي في علم النفس وعدّوا اللغة مجموعة من العادات السلوكية ؛ لذا قال بلومفيلد يعرّف اللغة بأنها : سلوك لغوي يشبه ماعداه من أنواع السلوكات الأخرى. [2]

---

1 – انظر أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 168، 169.

2– كان إلى جانب(فرانز بوب) إدوارد سابير (ت 1921م) edward sapir صاحب كتاب " اللغة " الصادر سنة 1920 ولم يكن سلوكيا مثل [بلومفيلد] وإنما ركز على إبراز الصفة الاجتماعية وأهمية الدور الفردي فيها ، وإلى جانب ذلك كان بلومفيلد . أما أعلام هذه المدرسة من الجيل الثاني فكان : [هاريس Harris]، و[هوكث Hockett] و(بايك Pik)و(وسكينر Skinner) صاحب كتاب السلوك اللغوي.انظر د.كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة، ص 63 .

1- انظر ر.هـ روبنز ،موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ص 334.

2– انظر د. كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ص 63 .

– درست اللغات المغمورة واعتبرتها في الأهمية في مستوى اللغات المعروفة وركزت في بحث اللغة على مبدأ ما يساهم به المتحدثون من فكر وثقافة وبأن لا فرق في البحث بين اللغات السامية واللهجات المحلية ، فلكل ذلك إذن الأهمية الواحدة في نظر العلم .

– ركز على لغة الحديث لأنها اللغة الوحيدة الجديرة عند هذه المدرسة والتي هي لغة الكلام.

– يرى أتباع المدرسة أن الطريقة التي يتحدث بها الناس هي مرجعهم الوحيد في الحكم على اللغة بصرف النظر عما تقوله كتب النحو التي تحاول إخضاع اللغة للقواعد المحددة الثابتة.

– قالت بضرورة التركيز على تعلم لغة للنطق أولا ثم تعلم لغة الكتابة بعدها . ويبدو هنا الخلط واضحا بين طريقة البحث العلمي للغة وبين طريقة التعليم وقد يكون هذا قريبا من الصحة لأننا إذا دققنا الأمر سترى أننا نتعلم اللغة أولا في صورة الكلام والنطق وليس من خلال الكتابة وصورة تدوينها ، ونتعلم المستعمل الشائع لا المختار والمقنن.

وعلى هذا الأساس رأت هذه المدرسة مبدأ الاستعمال والشيوع اللغويين ذا قيمة تتضاءل بجانبه قوانين النحو.لذا أيدت كل جديد في اللغة وعملت به. ومع ذلك اهتمت بالمنهج الوصفي البنيوي في دراسة اللغة وذلك في مستوياتها:الصوتية والصرفية والتركيبية .

ويظهر مما سبق أن هذه المدرسة لم تقم بدراسة المعنى لكنها لم تنكر أهميته في الدرس اللغوي لأن أبرز أعلامها وهو بلومفيلد قال:«لا يمكن في اللغة فصل الأشكال عن معانيها ومن غير المرغوب فيه وربما من غير المجدي دراسة أصوات اللغة فقط دون إعطاء أي اعتبار للمعنى،ولكن يجب أن نبدأ من الأشكال لا المعنى ».[1] وهو القائل أيضا في أهمية الدراسة الدلالية :« لكي نقدم تعريفا صحيحا علميا عن معنى كل شكل لغوي ، لابد لنا من أن نملك معرفة صحيحة ،علميا ،عما يُكَوِّنُ عالم المتكلم ، إذ التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية »([2]) وقد كان صارما في بحث اللغة علميا بالصرامة ذاتها التي عزف فيها عن الخوض في الدلالة رغم إدراكه لأهميتها كما قال وذلك لأن آليات البحث الدلالي المدققة لم

---

1 – انظر بلومفيد، اللغة،ص 103 نقلا عن د .كريم زكي حسام الدين،أصول تراثية في علم اللغة، ص 64 .

[2]- L. Bloomfield , le langage,p132

تكن لتتوفر كما يلزم في أنئذ (3). لقد تميزت المدرسة بالطابع العلمي التجريبي فركزت على تحليل الأشكال اللغوية وتجنبت بحث المعنى أو دراسة الدلالة وتطرقت إلى المساهمة في تعليم اللغة لأول مرة وكان الفضل إليها في نشأة علم اللغة التطبيقي الذي يعنى بتدريس اللغات.وهي المدرسة التي حصرت مهمة اللغوي في:

- وصف الكيان العام المكتوب أو المجموعة الكاملة المسجلة لأي لغة من اللغات.
- إن ما يحدد وضع أي عنصر لغوي إنما هي الأوضاع التي يمكن أن يشغلها في مجموع العناصر في الكيان التام المكتوب إلى جانب الاستبدالات في تلك الأوضاع .

فالأشكال اللغوية هي التي جعل منها (بلومفيلد)موضوعا للوصف التوزيعي(4) في علامات لغوية يعرّفها بأنها :أشكال صوتية ذات معان رغم أنه لم يضع المعنى في الاعتبار. لقد ظل وصفه التوزيعي محصورا في دائرة الصورة الصوتية ويصح القول : إن بلومفيلد طوّر المنهج الوصفي إلى منهج تصنيفي يعتمد على التوزيع الذي قال به وطبقه من جاء بعده من الباحثين مثل : هاريس وهوكت وبايك الذين حاولوا إدخال تعديلات إلى التحليل التوزيعي الذي ظل سائدا من 1920 م– إلى 1950 م حيث ظهر الاتجاه التحليلي اللغوي الذي يعرف بالاتجاه التوليدي التحويلي لنعوم تشومسكي الذي يعد أشهر لغوي في عصرنا (5)

المنهج التوزيعي

يعرف هذا المنهج بالمنهج التوزيعي أوالهيكلي أوالشكلي أوالسلوكي.وقد انطلق أصـــحابه من مفهوم البنية «Structure» عند دي سوسير ، ودققوا في مفهومه أكثر.ووضعوه منهجا لا يخلو من موضوعية، وقد ساد هذا المنهج في النصف الأول من القرن العشرين (من 1920–إلى

---

3 – انظر ر.هـ. روبنز،موجز تاريخ علم اللغة في الغرب،ص 341، 342، 343، 344.وكذا د.محمد حسن عبد العزيز ،مخل إلى علم اللغة ، ص 314وما بعدها .

4 – يعد كتاب اللغة لبلومفيلد المهيء منهجيا للدراسة اللغوية في أمريكا لتنعت بالبنيوية والوصـــفية تـــارة وبالتوزيعية تارة أخرى .

5– انظر د. كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ص 65.

1950م) في أمريكا ثم في بعض أنحاء العالم. وكان لكتاب بلومفيلد (1887م-1949م) الموسوم بـــ [اللغة langage] كبير الأثر في الترويج لهذا المنهج في أمريكا.

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن أبرز من أرسى أسس اللسانيات الأمريكيـــة وســـاهم فـــي توجيهها إلى ما هي عليه اليوم ترجع في الحقيقة إلى ثلاثة باحثين هم بالترتيب:[1]

1- فرا نز بُوعَزْ (Frunz Boos):1858م- 1942م.

2- إدوارد سابَيرْ (Edward Sapir) : 1884م- 1939م

3- ليونارد بلومفيلد :leounard blomfield 1887م- 1949م.

لقد كان (فرا نز بوعز) (ت 1942م) أول مؤسس للسانيات الحديثة الوصفية في أمريكا من خلال كتابه " دليل اللغات الهندية الأمريكية " اجتذبته العلوم الإنسانية فأدرك أن اللغة أهم مظهر من مظاهر الثقافة التي يجب على الأنثروبولوجي[2] أن يفهمها ويصفها بدقة ويكشف بأن نظمها ونسيج تأليفها يشكل وحدة متماسكة. فهو يرى أن المجتمع لا يفهم من خلال بيئته بل من خلال ثقافته ، وبأنه لا يمكن فهم ثقافته إلا من خلال لغته ، لغته المنطوقة أي على(" الكلام" parole La) على خلاف دي سوسير الذي اعتمد على " اللغة " (la langue) ذاتَ الارتباط بالمجتمع. ذكر في مقدمة كتابه «دليل اللغات الهندية الأمريكية » موجزا للمنهج الوصفي الذي اتبعه في دراسته للغة. لقد بنى اتجاهه في الدرس اللغوي على النسبية اللغوية التي لا يفاضل فيها بين لغة ولغة أو أن يجعل لغة مثالية يقاس عليها،وإنما بنى نظرته على أن اللغات الإنسانية تعرف بالتمايز والاختلاف والتنوع في القوانين ونظامية التأليف فيها. وهكذا قدم (فرانز بواز) خدمة للغات المحلية وأسس للسانيات الوصفية الأمريكية.

1- انظر ر.هـ.روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص300.
2 - الأنثروبولوجي نسبة إلى الأنثروبولوجيا : علم الأجناس .

أما" سابير ت 1921 " فتخصص في الفيلولوجية[1] وحين لقي (فرانز بوعز) عام 1904 تأثر به وانجذب إلى منهجه الأنثروبولوجي فعمد إلى دراسة اللغات الهندية الأمريكية على طول ساحل المحيط الهادي للولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا اهتم (سابير) بالأنثروبولوجية وباللسانيات وبالأدب والفن والموسيقى أيضا، وقال بعدم فصل الدراسة اللغوية عن باقي مظاهر السلوك البشري وعن علم النفس وعلم الاجتماع؛ لذا ركزّ على الجانب الإنساني للغة وعلى بعدها الثقافي، وعلى أسبقية الفكر علـــى الإرادة والأحاســيس، وعلى الجانب العلمي الواضح في الاهتمام بالعمل على الربط القوي بين الدرايـــة الأنثروبولجيـــا وعلم اللغة في بحث اللغات الأمريكية الهندية ما قبل الأدبية.وقد كـــان [أ. ســـابير E. Sapir [2]] يقف مقابلا لبومفيلد من الناحية العلمية،لأن بلومفيلد ذو توجه علمي صارم في تفسيره الميكانيكي للعلم،صب جل اهتمامه على المنهجية وعلى التحليل الشكلي . بينما قابله سابير بتوجيه موضوعه إلى استكشاف علاقاته بالأدب والموسيقى والأنثروبولجيا وعلم النفس، ملحا على مسألة تأثير اللغة في الحياة الإنسانية.

منهج سابير في التحليل:

أكدّ من خلال كتاباته على:

- دراسة الأشكال اللغوية دراسة تحليلية تصنيفية دون تـــصورات مـــسبقة ودون إقحام أنماط من لغات أخرى.
- يعدّ الأشكال من أهم مظاهر اللغة ولكنه لا يتناولها بكيفية مستقلة عما تؤديه من وظيفة.

---

[1]- الفيلولوجية : مصطلح غربي قصد به أ- الدراسة المقارنة للغات . ب- تحقيق النصوص وشرحها وما يتطلبه من دراسة للجوانب الصرفية والنحوية والمعجمية.ج- دراسة الثقافة والتقاليد والتاريخ والآداب الخاصة باللغة المدروسة. أنظر د. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، ص 172 – 193.

[2] – انظر.هـــ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 335. وأحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ص 189.

- رفض " سابير" الاعتماد على التقسيم التقليدي لأقسام الكلام في الدراسة الوصفية للغات الأمريكية الهندية .
- عدّ أقسام الكلام لا يعكس الكليات اللغوية أو الوحدات الوظيفية الطبيعية.
- رأى بأن لكل لغة أقسامها الخاصة وأنماطها المميزة.
- تملك كل لغة أصوات ومفردات وبنى تكفيها لتلبية حاجياتها [1]

لقد ألح " سابير" على التنوع الموجود بين اللغات وهو دأب كل الوصفيين، ووضع حدًا للافتراضات المسبقة في الدراسة اللغوية. وهو الذي أرسى أسس اللسانيات الو صفية الأمريكية ونظر إلى اللغة من خلال علاقتها بالحياة وبالفكر خاصة، ويرجع هذا إلى تأثره بأفكار العالم اللغوي الألماني(ويلهيلم همبولت Wilhelm Von Humboldt 1767-1835م)الذي ربط الدراسة اللغوية بالنزعة القومية لكنه اتجه إلى إرساء نظرية كلية في إطار خلفية أدرك فيها أن اللغة ملكة من عمل العقل وقوة خلاقة في التفكير ترقى بعمل الإنسان إلى التميز بالذكاء والإبداع بكيفية تختلف عن آلية لغة الحيوان التي لا تتعدى التلبية الغرائزية .وهو الذي قسم اللغات إلى ثلاثة أصناف بحسب السائد في تركيب مفرداتها : اللغات الفاصلة واللغات اللاصقة واللغات المتصرفة. وهو القائل بمستويين متكاملين في اللغة هما : الأول خارجي ويمثله جانب الشكل. والثاني داخلي وتمثله العمليات العقلية . فمنلويته واضحة تركزت على الجانب الإبداعي في اللغة مما جعله يصفها بأنها طاقة أي قدرة عند المتكلم –المستمع ، هذه القوة الخلاقة هي المنوطة بالكشف والحرية البحث.وهو لم يركز على التاريخ ولا ميّز بحدة بين الدراسة الوصفية والتعاقبية. فاللغة عنده قدرة فعالة وطاقة ينتج بها المتكلمون الأ قوال وبها يفهمونها ولا تتماثل مع النتاج المشاهد لأفعال الكلام والكتابة،وهي ذات شخصية متميزة بوصفها خاصية للأمة والجماعة التي تتكلمها .([2])

وقد استفاد تشومسكي من هذه الخلفية الثنائية وكذا من التراث اللغوي العربي من خلال نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني فتبنّى بعده ثنائيته المحددة في البنيتين : السطحية والعميقة

1- انظر أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 190.

2- انظر ر.هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ص 282وما بعدها.

والكفاءة اللغوية المثالية للمتكلم والمستمع وهي « تمثل المعرفة اللغوية المتعارف عليها بين المتكلم والمستمع والموجودة في الدماغ البشري » والأداء اللغوي الذي هو «الاستعمال الحقيقي للغة في حالات ملموسة »([3]) ومعنى الجانب الخلاق في اللغة .

أما بلومفيلد التوزيعي: فيعدّ الممثل الأساسي للمدرسة الوصفية الأمريكية وهو الذي طبعها بطابع خاص: الطابع التوزيعي والهيكلي والشكلي والسلوكي.

إن اللغة حسب"بلومفيلد" سلوك فيزيولوجي يتسبب في حدوثه مثير معين، جاء (بلومفيلد) بمثل(جاك وجيل ([1]) ليمثل الحدث الكلامي ويتضح موقفه كالتالي :افترض أن جاك وجيل كانا يتنزّهان بين صفوف الأشجار، وشعرت جيل بالجوع ثم رأت تفاحة على شجرة فأصدرت صوتا بحنجرتها ولسانها وشفتيها فقفز جاك فوق السياج وتسلق الشجرة وقطف التفاحة وأتى بها إلى جيل ووضعها في يديها فأكلتها .

حلل بلومفيلد هذه القصة كما يلي:

1- أحداث عملية سابقة للحدث الكلامي .

2- الحدث الكلامي.

3- أحداث عملية تابعة للحدث الكلامي ورمز إليها كالتالي:

$$S \longrightarrow r \ldots\ldots s \longrightarrow R$$

تمثل الخطوط المتقطعة الحدث الكلامي بين جسمي المتكلم والسامع والمثير(S) يعادل الأحداث العملية السابقة للحدث الكلامي، والاستجابة (R) تعادل الأحـداث العمليــة التابعة للحدث الكلامي، و يدل الحرف (r) على الاستجابة البديلة والحـرف s) علـى المثير البديل .

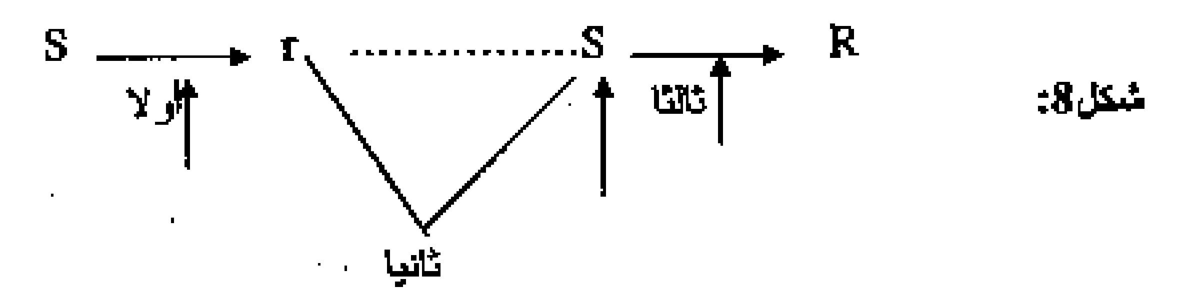
- وبعبارة أخرى أطلق (بلومفيلد) على الأحداث العملية التالية للكلام : اسـتجابة السامع، ولو كانت (جيل) وحدها لما أصبح الكلام عنصرا مـن عناصـر الموقـف ولكانت حصلت على التفاحة بنفسها .

3- د. مازن الوعر ، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة. مدخل – ص216.

1. انظر جون ليونز،نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة د.حلمي خليل، دار المعرفة اللغوية، مصر،1995م،ص69.

- ويطلق على العوامل التي وجهت رغبة(جيل) إلى الحصول على التفاحة:[مثيرات STIMULUS].
- ويطلق على سعيها من أجل الحصول عليها بنفسها استجابة عادية .
- [RESPONSES]:
- والربط بين المثير والاستجابة (بين الأمرين يصور، في سهم R ←—— S

– ولما صادف أن كان (جاك) موجودا وكان بمقدور (جيل) استخدام الكلام بدلا من قيامها بنفسها للحصول على التفاحة R فإن الكلام في هذه الحالة يصبح استجابة بديلة بالنسبة لها، ويمكن أن نرمز له: r بينما يصبح الكلام في الموقف السابق بالنسبة لـ(جاك) مثيرا بديلا يرمز له بـ S فيصير الموقف كله موضحا على النحو المذكور سالفا في الشكل 8 كما يلي.



شكل8:

– رقم 1 عملية رمزية غير واضحة تحتاج إلى بيان وهي عملية سابقة للحدث الكلامي .

– رقم 2 يمثل عملية إنتاج الكلام وهي عملية واضحة تعكس الحدث الكلامي .

– رقم 3 يمثل عملية أحداث تابعة للحدث الكلامي .

لقد حرص بلومفيلد على جعل الدراسة اللغوية علمية تخضع للمنهج العلمي الذي سادت سماته أنذاك ، وحرص على أن تكون الدراسة اللغوية مستقلة عن العلوم الأخرى وحبذ المنهج المادي في التحليل اللساني لأن المنهج الذهني لا يتفق مع الواقع اللغوي ، ولك أن تعرف أن المنهج الذهني ينظر إلى التبدلات في السلوك الإنساني بإرجاعها إلى عوامل غير فيزيائية(كالروح،والرغبة، والذهن)،وقد يكون هذا النزوع المادي راجعا إلى عدم نضج علم السيمياء بعد عندهم.

والمهم أن المنهج المادي يعدّ هذه التغيرات في سلوك المرء راجعة إلى نظام فيزيولوجي جسمي معقد، أي السلوك هنا يخضع إلى: مثيرات واستجابات وهذا يشبه الدراسة الفيزيائية والكـيميائية[1] أي يعتمد في تفسير السلوك البشري في حدود المثير والاستجابة مثلما تقوم به العلوم الفيزيائية والكيميائية حين تعتمد في تفسير الظواهر الطبيعية على تتابعات العلة والأثر .

وقد رفض بلومفيلد (المنهج الذهني) كما بينا قبل لكونه لا يعتمد في تفسير الظواهر على المبادئ العلمية التجريبية ولأنه يرجع السلوك البشري إلى العوامل السابقة غير الفيزيائية كما وهي: **الروح – والعقل – الرغبة أو الإرادة غير القابلة إلى الملاحظة والوصف العلمي** وعليه يصعب التنبؤ بالسلوك البشري ولا بالحدث الكلامي [2] وعلى هذا ذهب إلى أن " الدراسات الدلالية والمعنوية – أضعف مستوى في الدراسة اللسانية " [3] والواقع أن المعنى عند عبارة عن موقف فيه كلام واستجابة يستلزمه هذا الموقف لدى السامع أي أن الأحداث التي تسبق الكلام وكذلك التي تأتي عقب هذا الكلام إنما هي أحداث تدرج في مجال بحث المعنى لأنها من العناصر العملية لهذا الموقف لكنها أي الأحداث (السابقة واللاحقة) للكلام هي وقائع ذات وجود خارجي إذا حرصنا على بحثها نكتشف بأننا لسنا بصدد دراسة اللغة ذاتها . ورأى بأن جانب المعنى والدلالة تساهم في إبرازه وكشفه وتوضيحه مجموعة من العلوم غير اللسانية، إلا أنه أكد في الوقت نفسه بأنه رغم الاعتماد على هذه العلوم غير اللسانية لتبيين الجانب الدلالي والمعنى اللغوي فإنه لا يمنع أن يكون علم اللسانيات علما قائما بذاته.

ويبدو أن بلومفيلد بالغ حين ركز على الجانب الآلي في اللغة وذلك لأن الإنسان يختلف عن بقية الكائنات والحيوانات إذ يتميّز عنها بالعقل باعتباره ملكة مبدعة خلاقة لا توجد في غير جنس البشر، فهو أي(بلومفيلد) تجاهل الجانب الخلاق في اللغة الذي أكد عليه الفيلسوف الفرنسي ديكارت والعالم الألماني همبولت من قبل وقام بعدهما اللغوي تشومسكي بالتأكيد عليها فيما بعد، ولا ريب في أن هذا التجاهل فتح المجال واسعا للعقلانيين لأن ينتقدوا وجهة نظره .

---

1 – انظر د. مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة ، ص 70-71

2 – انظر م ن، ص 71، 72. وكذا أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص193- 194 .

3 – م ن، ص 71 .

ولكن تحري الدقة العلمية تجعلنا نذكر بأن (بلومفيلد) اعتمد هذا الرأي أو الموقف الخاص بالمبدأ العلمي التجريبي لأنه كان في مناخ فكري ظهرت فيه الفلسفة الوضعية (positivisme) التي تعنى بالظواهر اليقينية وتأبى كل تفكير تجريدي ، ولا تقول إلا بما هو مرئي ، وتجريبي وبالتالي تنفي وتنزع صفة العلمية عما سوى ذلك ، وقد كان (بلومفيلد) من المعجبين بهذا التوجه والداعين إلى تطبيقه في دراسة سلوك الإنسان بما في ذلك اللغة ؛ والظاهر أن مذهبه السلوكي سواء من خلاله أم خلال تلاميذه لم يترك الأثر الواضح في الدرس الصوتي ولا في الدرس النحوي لكنه ساعد على تطور منهج البحث التجريبي الأمبريقي في اللغة.وقد حرص في هذا الإطار على المعايير التالية :

-اعتماد المنهج العلمي الصارم والتمسك بأن علم اللغة علم وصفي لابد من الفصل فيه بين الدراسة اللغوية الوصفية والدراسة المعيارية وبطريقة أكثر وضوحا بين وصف القواعد والقوانين التي يعتمدها مستعملو اللغة فعلا وبين القواعد المعيارية التي يراها علماء اللغة مما يلزم على مستعملي اللغة اتباعها ليصح كلامهم ويحسن.

- استقلالية العمل اللغوي العلمي عن غيره من العلوم وهذا أساس أو مبدأ لا يرقى إلى القوة أو الثبات لأن المعنى يرتبط بالدرس اللغوي وليس فيه ما يدل حينئذ على هذه الاستقلالية.

- كل عملية تخاطب تستلزم :الباث [المتكلم] الذي ينجز عملية التركيب بصياغة المفاهيم فـي نسق كلامي محسوس. و[الناقل] هو الأداة اللسانية.والمتقبل الذي يمثله المخاطب ، يسعى إلـى القيام بعملية تفكيك الرسالة اللغوية.

وهكذا فالتركيب ينطلق من المجرد والمتصور ثم يجسم في قوالب كلامية محـسوسة.يقابله التفكيك الذي ينطلق من موضوع حسي كلامي يتجه به إلى مدلوله المجرد أو قل يرجعـه إلـى وضعه كمفاهيم وتصورات.

- العمل بحرص على تخليص البحث اللساني من المعايير الفلسفية، وهو واضـح فـي آرائـه المنكشفي علمية التوجه وعد الظاهرة اللغوية سلسلة من المنبهات تعقبها اسـتجابات ، تتحـول بدورها إلى منبهات تقتضي استجابات يستدل عليها بمعادلته المشار إليها قبل.

- النحو عنده علم تصنيفي لضبط الكلمات الأساسية في اللغة بحسب التتابع والتواتر فقط.

– العزوف عما هو نفساني وفلسفي في تقدير الظواهر اللغوية . ولكن المبالغة في الاعتداد بالشكلانية ولد خصوما لهذا المنهج من بعض أتباعه أنفسهم فتهيأ الطرح لمنهج آخر هو المنهج التوليدي التحويلي الذي سنبسط البحث لاحقا.(1)

مبادئ التحليل التوزيعي :

أ– مفهوم التوزيع :

التوجه التوزيعي في اللسانيات رد فعل على الدراسة اللسانية التقليدية التي ركزت في تحليلها ودراستها على مبدأ الخطأ والصواب في التقعيد المعياري للغات وتوخى التوزيع بجعله ينفرد بالرؤية الوصفية الظاهرية للكلام أو للأشكال اللغوية ليحقق معاينة السياق الكلامي وضبط تتابع التأليف اللغوي في هذا السياق بحسب المواقع التي تكون فيها وتظهر بها .

فالتوزيع هو الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن العناصر اللغوية الأخرى المنتظمة مع بعضها، لذا يتحدد توزيع عنصر(أ) بمجموع العناصر التي تحيط به، ومحيط عنصر يتكون من ترتيب العناصر الأخرى التي ترد معه. يتوافق كل منها في موقع معين مع العنصر في تركيب كلامي. والعناصر التي مع العنصر (أ) في موقع معين تدعى انتقاء هذا العنصر بهذا الموقع [2] ومعنى هذا أن المتكلم للغته حين يحدث الفعل الكلامي يشعر كأنه ينتقي العناصر اللغوية التي تحقق المحتوى الفكري لكلامه في الواقع، مع أنه ليس حرا في اختيار الفئات الواردة معا لكنه يملك اختيار ترتيبها.

إن التوزيع يريد استكشاف آلية لغة من اللغات من تحديد الفئات التي تنتمي إليها ومن كشف تآلفها فيما بينها، لذا يعد تحديد أي جزء من أجزاء الكلام موقوفا على ما يوجد حوله من العناصر في السياق الذي يرد فيه.

وعلى هذا حين عرّفوا أقسام الكلام تعريفا موقعيا، فإن كل العناصر التي تحتل الموضع نفسه في السياق تنتمي إلى القسم نفسه من أقسام الكلام.

1- انظر جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ص 66 ، 67. وكذا د. عبد السلام المسدي ، الأسلوب والأسلوبية ، الدار العربي للكتاب، ط2 ، 1982م، ص 62 ، 63 ، 208.

2– انظر د. ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، ص 245. وأحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 104.

وهذا ما عرفناه في تراثنا اللغوي مع ابن مالك: (672هـ) في ألفيته عندما عرض أقسام الكلام وعرّفها حسب موقعتها وهو الذي قال به التوزيعيون بعده بقرون : قال في الألفية:

بالجرّ والتنوين والنّدا وألْ ** ومُسْنَدٍ للاسم تمييزٌ حصلْ

بتا فعلتَ وأتتْ ويا افعلي ** ونُون أقبلنَّ فِعلٌ ينْجلي ..الخ

ففي هذا مراعاة لتوزيع العناصر اللسانية، ووجه اهتمامه إلى جعل التعريف يحدد الحوالية اللسانية التي تختلف العناصر اللسانية وفقها من خلال تتابعها في السلسلة الكلامية المنطوقة.

ب- إقصاء المعنى:

لا يتوخى البحث اللساني لدى التوزيعيين عن موجودات مفترضة وراء الأشكال اللغوية التي قد تكون أسبابا لها ولا تضامها وإنما يجري الوصف اللساني كله على السطح المنطوق أو المكتوب وما عدا ذلك من الأشياء خلف السطح هي وهم منهجي، لذا استبعد التوزيعيون المعنى من التحليل اللغوي -كما ذكرنا هذا قبل- وليس معنى ذلك أن المعنى لا أهمية له وإنما أصحاب المدرسة التوزيعية يؤمنون بأن المعنى لا يخضع للدراسة الوصفية العلمية الدقيقة مثلما تخضع له الأنظمة الظاهرة الأخرى. وكان بلومفيلد في تلك الفترة يدرك أن " التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية "[1] وفهم منه تلامذته بأنه لا بد من استبعاد علم الدلالة من الوصف اللغوي، وعملوا بذلك على تحييد الدلالة خدمة للنزعة الشكلية الناتجة عن التأثر بنظريات علم النفس السلوكي الذي بحث في ظواهر الأشياء وأن الممكن لدى التوزيعيين هو ضبط السياقات المختلفة التي يظهر فيها العنصر اللغوي وتقييد توزيعه ضمن السلسلة الكلامية .

ج- التحليل إلى مكوّنات مباشرة:

اعتمدت التوزيعية على منهج وعلى أساليب محددة تتميز بالوضوح والدقة عما كان متبعا في التحليل اللساني آنذاك في الدراسة التركيبية التقليدية .

1- انظر جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة د. حلمي خليل ، ص 70 ،71. وانظر د. مازن الوعر ، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، ص 71-72. وأحمد حساني، مباحث في اللسانيات ص 105.

يقوم التحليل إلى مكونات مباشرة من خلال تحليل الجملة بتفكيك بنيتها على أساس أنها مؤلفة من طبقات تمثل مكونات الجملة، بعضها أكبر من بعض إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات، يقابلها مصطلح المونيمات في المدرسة الفرنسية باعتبارها عناصر صوتية دالة كل منها على وحدة صرفية دنيا وأصغر تفيد معنى يبرزها التحليل . فلا تفكك الجملة على أساس أنها مؤلفة من طبقات مرصوفة بعضها بجانب بعض .

ولا بد أن نشير إلى الفرق بين مفهوم (المـــورفيم morphème)لـــدى التـــوزيعيين الأمريكيين الذي له معنى خاص يختلف عن المفهوم الأوروبي الذي يدل على الوحدة النحويـــة مقابل الوحدة المعجمية وهو الذي قال به " مارتني " ومن تابعه فيـــه إذ يعبـــرون عـــن معنـــى (المورفيم عند التوزيعيين) بمصطلح(اللفظم le monème) ومصطلح مؤلف (constituant) يطلق عند التوزيعيين على كل (مورفيم) أو ركن كلامي الذي يمكن أن يدرج في بنـــاء أكبـــر وتنقسم المؤلفات المباشرة إلى قسمين :

أولا – المؤلفات المباشرة:(les continents immédiats) : وهي مكونات الجملة القابلة لأن تحلل إلى مؤلفات أصغر. يفكك فيها التوزيعيون بنية الجملة على أساس أنها مؤلفة من طبقات بعضها أكبر من بعض إلى الحد الذي يصل فيه التحليل إلى عناصـــرها الأوليـــة إلـــى المورفيمات (morphème) [1] التي يعدونها وحدات دنيا أخيرة في التحليل ذات دلالة [2].

---

1 – يوجد فرق في الاستعمال بين اللسانيات التوزيعية الأمريكية واللسانيات الأوروبية المعاصرة لمصطلح morphème مورفيم :له مفهوم خاص عند التوزيعيين وهو وحدة مميزة صغرى في التحليل القواعدي له أهمية مركزية في الصرف وهو أي المورفيم مفهوم علمي بديل لمفهوم الكلمة أو الصيغة.انظر روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة د.أحمد عوض، علم المعرفة عدد 227، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،199٧م ص8

والمورفيم هو الوحدة النحوية مقابل الوحدة المعجمية يستعمل (مارتني) للتعبير عن مفهوم المورفيم مصطلحا آخر هو: (اللفظم le monème): انظر أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، د. م ج، 106 –107.

انظـــر كـــاترين فـــوك، مبـــادئ فـــي قـــضايا اللـــسانيات المعاصـــرة تعريـــب د.المنـــصف عاشـــور (د.م.ج.)الجزائر،1984م.

2 – انظـــر كـــاترين فـــوك، مبـــادئ فـــي قـــضايا اللـــسانيات المعاصـــرة تعريـــب د.المنـــصف عاشـــور (د.م.ج.)الجزائر،1984 ص39

إذن فمصطلح "المورفيم " لفظ ترتيبي عند التوزيعيين يشمل كل الوحدات التي تـدل علـى معنى نحوي بينما يدل في المدرسة الأوروبية على الوحدات النحوية مقابلة بالوحدات المعجمية وهو ما توخاه (مارتني martinet) في نظريته الفونولوجية إذ أمام ما قامت به مدرسة براغ في فصل (الصوتيات الوظيفية) phonologie عن الصوتيات la phonétique عمـدت إلـى إدراج الأولى في العلوم بينما نسبت الثانية إلى الدراسة الإنسانية. لقد نسبت الأولى إلى العلوم لأنها تستعمل وسائل آلية أي عدتها علما "طبيعيا" بينما عدت الفونتيك علما لغويا أدرجتـه فـي الدراسات الإنسانية، والواقع أن العلمين متصل كل منها بالآخر، وهو ما ذهب إليه [مـارتني] الذي عمل على إزالة هذا الفصل لأنه عدّ الفونولوجيا ضربا من (الفونتيـك) أو الـصوتيات الوظيفية ،وعلى هذا نظر للصوتيات الوظيفية الزمانية في نظريته في إطار (المدرسة الوظيفية) من أجل تفسير تطور اللغة معتمدا على مصطلحات واضحة خالية من التعقيد لا بأس في التذكير بها لأننا أشرنا إلى بعضها قبل وهي :

- اللغة (langue) .
- الجملة (phrase).
- الفونيم (الصوت) phonème.
- السمة المميزة trait pertinent.
- اللفظ (monème) : وهو الوحدة الصرفية، الكلمة، الصيغة.

ولقد وضح العالم الفرنسي "فندرايس" مصطلح المورفيم مؤكدا على أنـه عنـصر صرفي أي أن المورفيمات (الكلمات)ترابط بين الأفكار التي يتكون منها المعنـى العـام للجملة. وهذه الأفكار كما يذكر تمام حسان واضحة في "السيمانتيمات" sémantème [1]

---

1 – السيمانتيم:عنصر لغوي يعبر عن الفكرة التي في الذهن كفكرة الباحث، وفكرة الإكرام في: (الباحث يكرم). فهنـاك صورة نظرية في العقل لهذا ، وهناك تحليل للعناصر اللغوية التي تكوّن هذه الصورة بين الباحث والإكرام. انظـر تمـام حسان مناهج البحث في اللغة، ص171.

(أو دوال الماهية) وهي الألفاظ التي تدل على الماهيات، وهي واضحة أيضا في ثبوت المعنى المعجمي[2] .

فالجملة على هذا الأساس تتضمن نوعين من العناصر: الأول: تعبيرات عن أفكار. الثاني: علامات على الارتباط بين هذه التعبيرات. ولتوضيح هذا المفهوم نذكر أحد الشواهد كما ذكرها محمد الأنطاكي يبسط المسألة أكثر[1] :

[ضرب الرجل حمارا بعصاه]

أولا – إذا حللناها معنويا تجد فيها نوعين من المعاني:

1- معاني هي نوع من الماهيات وهي هنا ماهيات (الضرب والرجل والحمار والعصا)

2- معاني هي لواحق الماهيات أو هي تربط بعضها إلى بعض وهي كون الضرب حدث في الزمن الماضي ثم كونه صادرا عن الرجل ثم كون الرجل معروفا ثم كون الحمار مجهولا ثم كون الحمار هو الذات التي وقع عليها فعل الضرب، ثم كون العصا أداة الضرب ثم كونها تابعة للرجل.

فهذه المعاني وهي معان ضرورية للعمل اللغوي لا يحصل الفهم بدونها.

ثانيا- أما إذا حللنا العبارة تحليلا لفظيا فإنك تجد فيها نوعين من الألفاظ:

1- ألفاظ تدل على الماهيات وهي (ضرب، رجل، حمار، عصا).

2- ألفاظ تدل على المعاني التي تربط بين هذه أو تلك الماهيات وهي:

أ- الألف واللام الدالتان على أن الرجل معروف.

ب- التنوين في لفظ حمار الذي يدل على تنكيره.

ج- الباء التي دلت على واسطة الضرب في لفظ(بعصاه).

د- الهاء التي دلت على تبعية العصا للرجل...الخ.

وهكذا يخلص محمد الأنطاكي إلى أن كل عبارة تحتوي أربعة عناصر:

2- انظر مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ص170.

[1] - انظر الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط3، (د.ت)، ص291.

1- ماهيات.

2- ألفاظ تدل على هذه الماهيات يسمى كل منها (Sémantème) سيمانتيم. أو دوال الماهية كما يقول فندرايس .

3- معان تربط بين الماهيات تسمى المقولات النحوية أو الأبواب النحوية (catégorie grammaticale).

4- ألفاظ تدل على المعاني التي تربط بين الماهيات تسمى "المورفيمات" (morphème) [1]

وإن كان القسم الأول للمؤلفات المباشرة هو أولا: المؤلفات المباشرة، فإن قسمها الثاني: المؤلفات النهائية les constituant terminaux: وهي غير قابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر [2].

لقد اعتمد هذا التحليل في تحليل بنية الجملة إلى العناصر التي تتألف منها إلى معرفة أي جزء من أجزاء الكلام يتبع كل عنصر بحسب السلوك اللغوي في الجملة وقد ساعد ذلك على معرفة علاقة الكلمات بعضها ببعض[3] ومن نماذج هذا التحليل الشكل 9 الموالي :

---

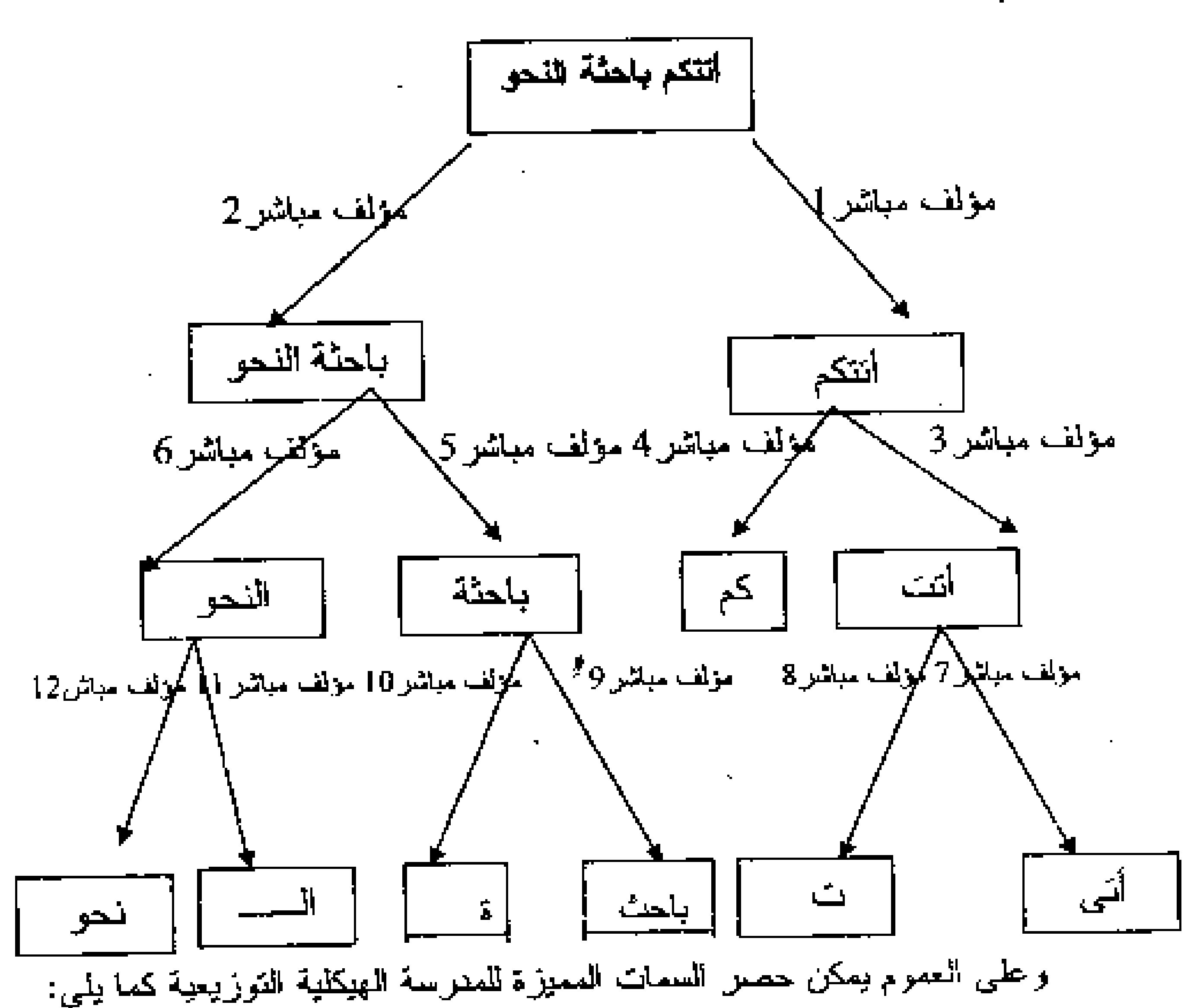
1 – تنقسم المورفيمات إلى ثلاثة أقسام: أ- مورفيمات تتألف من أصوات زائدة على أصوات السيمنتيمات ب- مورفيمات تتألف من تحوير يعرض لأصوات السيمنتيمات. ج- مورفيمات تتألف من ترتيب الماهيات في الجملة

أ – و المورفيمات الصوتية تتألف من أصوات تزاد إلى العناصر الصوتية المعبرة عن الماهيات وهي أنواع: مورفيما من صوت واحد كالضمة القصيرة في قولك (جاء أحمد) الدالة على المقولة النحوية و هي الإسناد إسناد المجيء إلى أحمد. و منها الضمة الطويلة في الأسماء الخمسة (جاء أبوك) وفي (ضربوا) الدالة على وقوع الفعل في الجماعة الغائبين. والكسرة الدالة على التبعية: كتاب زيد، و النون الساكنة المنونة (جاء رجل) والتاء الدالة على وقوع الحدث من المفردة المؤنثة الغائبة: (جاءت).

2- مورفيمات تتألف من مقطع واحد مثل: من- عن- في- أو- بـ- ك- لم- ما- لا- هم- إن راجع ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2- تحقيق هنا الفاخوري.

3 – مورفيمات تتألف من عدة مقاطع وهو كثير في العربية كذلك كالهمزة و السين و التاء الدالة على الصيرورة نحو: (استحجر الطين) أو على الطلب (استنجد الفريق) (واستغفر المؤمن ربه)، والهمزة والتاء الدالتان على المطاوعة: جمعتهم فاجتمعوا. و كالنفي في الفرنسية بعنصرين je ne

الشكل9 :



وعلى العموم يمكن حصر السمات المميزة للمدرسة الهيكلية التوزيعية كما يلي:

---

mange pasونظيره في العربية: افتعل(الألف والتاء) و افعوعل (الألف و الواو و تكرير العين).ب- مورفيمات تحريفية كما يقع في الأصوات عند جمع التكسير لـــحمار حمير أو إبدال الحركات مثل أسد أسود أو تغيير مكان النبر في الصوت و هو غير موجود في العربية، و إطالة الصوت: رجع راجع أو تقصير الصوت من أصوات السيمنتيم حاذر حذر الأول أمر والثاني صفة ولا فرق بينهما إلا في طول الفتحة التي بعد الحاء أو المورفيم الصفري أي عدم وجوده في حد ذاته يدل على مقولة نحوية نحو: أكل: أكل حدث وقع من مفرد مذكر غائب: أنت تلاحظ بأنه لا توجد لاحقة في نهايته مثلما هـو - ت في امنت- أكلنا- أكلتم....وغيرها فلاحقة أكل صفر لكلØ . اللاحقة الصفر تدل على وقوع الحـــدث من مذكر مفرد غائب. والمورفيم الصفر يوجد في الأصوات ويوجد في مجال التنغيم.

د- مورفيمات ترتيبية: وهو نادر في اللغة العربية لأنها تعبر عن معانيها النحويـــة بالمورفيمـــات الصوتية أما الإعراب لا على الترتيب و على هذا تتمتع الكلمات في العربية بحرية في موقعها بالجملة لذلك تجد بعض اللغات التي فقدت إعراب الحالات قد استعاضت في تأدية العلاقات التي كان يعبّر عنها بالإعراب: إما بكلمات مساعدة حروف جر - أدوات وإما بوضع أو موقع كل كلمة بالنسبة للكلمـــات الأخرى. أنظر محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص 294 و ما بعدها.

1- ركزت الاهتمام على التركيب الشكلي أو البنية الظاهرة للغة ووصف كثير من اللغات صوتيا وصرفيا وتركيبيا و توصلت إلى كشف قواعد وصفية لكل لغة من اللغات الأوروبية الحديثة من خلال الكلام المنطوق في تلك اللغات.

فكانت القواعد بذلك وصفية و ليست معيارية مبنية على الخطأ و الصواب كما هو حال المنهج التقليدي و بأن كل ما يقال يسجل باستثناء كلام السوقة و اللهجات المحصورة جدا.

2- تأثر علماء اللغة في هذه المرحلة بالمذهب السلوكي في علم النفس الذي ساد في أوروبا وفي أمريكا. و الذي عني بدراسة ظاهرة السلوك لا غير باعتباره مكونا من عادات مختلفة (نشير هنا إلى تجارب(ثورندايك) في أمريكا، و(بافلوف) في روسيا. و هكذا نظروا إلى اللغة في هذه الحقبة على أنها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى. و من هؤلاء العلماء: (سكينر) Skinner (ت 1980).

3- رأى السلوكيون اللغة مجموعة من عادات صوتية يكيفها حافز البيئة وليست عندهم سوى شكل من أشكال الحافز فالاستجابة للحافز: قصة (جاك وجيل).

4- ركز اللغويون على اللغة المنطوقة وأهملوا اللغة المقيدة (المكتوبة)، واللغة نظام من الأصوات أولا وهكذا وضعوا كل اهتمامهم في هذا النظام.

5- اعتمدوا من دراستهم على ظاهرة اللغات و برزت الدراسات المقارنة من نوع جديد في المنهج وفي الهدف: تقارن بين لغتين معينتين بحثا عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينهما في مستويات: الصوت والصرف والتركيب بغية التوصل إلى أنجع الطرق التي تعتمد في تعليم اللغات الأصلية أو الأجنبية. و هكذا تأسست مدرسة بلومفيد الأمريكية الذي اهتم فيها بدراسة التركيب الشكلي أو البنية الظاهرة و اعتمدت على:

أ- مفهوم الهيكلية **structuralisme** : يشير إلى أن دراسة اللغة تنطلق من هيكلها ومن العلاقات التي تربط بين مختلف عناصرها المكونة؛ لذا أطلق عليهم مصطلح: الهيكليون أو التوزيعيون.

ب- اللغة: الإنسان يتعلم اللغة بالتقليد، يقلد ما يسمع في بيئته وبأن التقليد يمر بمرحلتين: مرحلة المحاكات بالأصوات – ومرحلة القياس وهو عملية ذهنية تبدأ آليا في ذهن المتعلم(الطفل).

منهج الدراسة عند التوزيعيين:

يرتبون دراستهم وفق المراحل التالية:

1- مرحلة تكوين المدونة أو نص موضوع الدراسة من الأشكال المسموعة التي يسجلها الباحث لمجموعة من الناس المتعلمين بلغة واحدة (المخبرون informateur) في آلات تسجيل، وقد يكون الباحث دارسا ومخبرا في الوقت نفسه.

2- تتم الدراسة الصوتية والفونولوجية: يكتب المسموع كتابة صوتية يراعى فيها التنغيم والنبر والقطع ، والهدف هو البحث عن الفوارق الصوتية المترابطة لتكوين ثبت للوحدات الصوتية الوظائفية الدنيا (الفونيم) وإدراجها في نظام صوتي يعكس و يمثل حقيقة اللغة؛ وهي عمدة البحث عندهم.

3- تدرس الوحدات الصرفية أو الصيغ Morphème وتصنف وتبوب ليصل الباحث في الختام إلى معرفة النظام العام الذي تخضع له اللغة.

4- يقسمون المدونة في الدراسة التركيبية إلى جمل لدراسة أشكالها، ويحللون عناصرها التي تكونها ليعرفوا كل جزء من أجزاء الكلام. ومحصلة هذه الدراسة في هذا المستوى هي التي تكون النحو (نحو اللغة المدروسة طبعا)، وهو عبارة عن أشكال خاصة باللغة المدروسة وما تعرف به من أطراد هو الذي ينبغي اعتماده.

إن الإخلال بأية مرحلة من المراحل المذكورة يعرض البحث إلى الرفض ؛ لذا يلح التوزيعيون على احترام هذا المنهج وترتيبه؛ فلا مجال للخلط بينهما أو عدم الاستعانة ببعضها لإلقاء الضوء في البحث من بعض جوانبه الأخرى.

5- استفاد "بلومفيلد" من خصائص المنهج المادي في علم النفس "السلوكية" الذي طوره "واطسون" إذا اطلع على ما قام به واطسون في هذا الصدد من خلال أعمال "قايز" فحاول وضع تعريف للمعنى وحصر الأسس التي تدرس به. وأراد الاستعانة بالمنهج السلوكي لدراسة

موضوع المعنى دراسة علمية قائمة على أساس تجريبي دون أن يقصد جعل علم اللغة معتمدا على علم آخر لأنه شدد على جعل الدراسة اللغوية علما مستقلا وهو ما كان واضحا في كتابه "اللغة" langage.

6- لقد هدف واطسون إلى إخضاع السلوك الإنساني للدرس العلمي التجريبي معارضا بعض علماء عصره مثل "مكد وجال" الذي يستند في تحليله على فكرة (الروح) ذات الخلفية الدينية. عدها واطسون فكرة غير علمية لأنها لا تخضع للملاحظة المباشرة والتجربة. كما عارض من قال في التحليل بفكرة "الشعور" أمثال "وندت" لأنها صورة زائفة أيضا لكلمة (الروح) ورفض مسلكهم في التحليل القائم على الاستبطان، من أجل معرفة المشاعر لأنه لا يحتوي على الفائدة العلمية؛ لذا وجّه إلى معالجة ما يمكن ملاحظته وماذا تفعله الأعضاء أو ماذا تقوله. والكلام عند "واطسون" بهذا يمثل شكلا من أشكال السلوك وهو ما قال به (بلومفيلد) بعده.

7- نظر بلومفيلد إلى الحدث الكلامي باعتباره سلوكا يقع في موقف عادي وبيّن قصده من فكرة (الموقف) بقصة جاك وجيل، وحدد من خلال الموقف المذكور العناصر الذي يتألف منها وهي:

1- أحداث عملية سابقة للكلام (علمية رمزية غير واضحة يعوزها البيان)

2- الكلام نفسه (إنتاج الكلام): وهو عملية واضحة.

3- أحداث عملية تابعة للكلام (علمية غير واضحة تحتاج إلى بيان).

لقد حرص بلومفيلد على علمية الدرس اللغوي وإخضاعه إلى المنهج العلمي الذي ساد في زمنه وعلى أن يكون مستقلا عن غيره من العلوم. وحين يتأمل الباحث العناصر التي يتألف منها موقف الكلام عنده يلحظ أن المعنى هو الموقف الذي ينطق فيه الكلام والاستجابة التي يستدعيها عند السامع، وبمعنى آخر نفهم أن الأحداث العملية التي تسبق الكلام وتتلوه إنما هي أحداث تدخل في إطار دراسة المعنى لأنها من عناصر الموقف؛ فلما كان (المعنى) عنده هو (الموقف) الذي ينطق فيه الكلام (والاستجابة) التي يستدعيها السامع فإن أي عنصر فيه يعد من الأطر التي تدرج في دراسة المعنى، وهو ما يمثله هنا العنصر الأول (الأحداث العملية السابقة للكلام)،والعنصر الثالث (الأحداث العملية التالية للكلام). ولابد أن ننتبه إلى أن العنصرين

المذكورين ضمن الموقف العام كله يمثلان وقائع ذات وجود خارجي؛ لذا يرى "بلومفيلد" بأننا إزاء وقائع خارجية وبأننا حينئذ لا ندرس اللغة في ذاتها ؛ لذلك يرى بأن دراسة أصوات الكلام من غير اعتبار المعنى التي تحملها هو دراسة تجريبية، وعليه فإن معرفة أوجه التطابق أو التباين بين الأشكال اللغوية لا بد أن يبنى على اعتبار الدلالة أو المعنى ، فالمعنى عنده هو الذي يساعد على دراسة الأشكال اللغوية. قال: " لكي نقدم تعريفا صحيحا علميا عن معنى كل شكل لغوي لا بد من امتلاك معرفة تكون صحيحة (علميا) عم يكوّن عالم المتكلم إذ التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية" [1] ولكنه يرى بأن تحليل المعنى يمثل أضعف نقطة في دراسة اللغة وأدرك يومئذ أن الأمر يظل كذلك إلى أن تتطور المعرفة الإنسانية ووقتها سيساعد تطورها على إمكانية تحليل المستوى الدلالي في اللغة وعلى التحكم في تدقيق المعنى. وبعبارة أوضح فإن المنهج التوزيعي بنيوي وصفي يدرس الظواهر ويؤجل الأشياء التي يتعذر مشاهدتها ودراستها بموضوعية وتركها إلى المراحل التي تتطور فيها المعرفة العلمية وتتدقق فيها اكتشافاتها وتتسع فتوحاتها.

طريقة التحليل عند بلومفيلد :

تقوم على تقسيم اللغة إلى مستويات دون الخلط بينها: [2]

أولا – المستوى الفونيمي (يحتوي الوحدات الصوتية).

ثانيا – المستوى المورفيمي (يتضمن وحدات معجمية مثل: الكلمة أو الصيغة، السابقة préfix واللاحقة suffixe والداخلة ifix والساق stem و الجذر.

ثالثا – المستوى التركيبي: وهو مستوى يحتوي تراكيب تتجاوز اللفظ أو الكلمة نحو: شبه الجملة و المركب الإضافي وشبه الجملة ..الخ.

1- L. Bloom Field, la luiguistique, P. 147 . نقلا عن أحمد حساني مباحث في اللسانيات، د.م ج، ص105 و انظر د. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، ص 319.

2 - انظر د.كريم حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة ، ص64. وكذا أحمد مومن ،اللسانيات النشأة والتطور ،ص197.

رابعا – المستوى الدلالي: لم يقع التطرق إلى تحليل هذا المستوى في المنهج التوزيعي البنيوي الوصفي لأن المنهج كان يركز على تحليل الشكل.

وعلى العموم تقوم الطريقة في التحليل على تفكيك بنية الجملة اعتمادا على عملية (التقطيع) بفصل القطع عن القطع المجاور له أي تفكيك الكلام المتصل إلى وحدات أصغر مما يتألف منه وذلك لمعرفة أبجديات اللغات الهندية الأمريكية الخالية من أنظمة كتابية.

ولتوضيح عملية التقطيع الذي يهدف إلى تحديد المكونات لا الوظيفية:

أ – يستعمل الخطوط الرأسية (العمودية) للفصل بين القسمين الأساسيين.

ب – استعمال الأقواس (( )).

ج – استعمال للتحليل المشجر.

لا يعتمد هذا التقسيم على الوظيفة النحوية التي اتبعتها الطريقة التقليدية و إنما يركز على قانون التوزيع و إمكان إحلال عناصر محل أخرى تعد امتدادا لها مثل:

1 – الطفل الذي سافر أبوه   يبكي على أمه.

أ – الطفل الصغير   يبكي على أمه.

ب – الولد   يبكي على أمه.

حلّ (أ، ب) محل الجزء الأول من الجملة 1. بينما حل محل الجزء الثاني من الجملة نفسها (ج، د) كما يلي:

أ – الطفل الصغير   ج – حزين

ب – الولد   د – قلق[1].

إذن الهدف بحث المكونات لا الوظيفة.

أ – فالطفل الذي سافر أبوه هو (الطفل الصغير)، وهو (الولد).

ب – و يبكي على أمه تطابق (حزين) و (قلق).

فمكونات (أ) تعادل مكونات (ب).

---

[1] – انظر د. محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية دراسة لغوية نحوية ، منشأة المعارف، الإسكندرية 1998 ص 190-191.

وأنت حين تنظر إلى الجملة تكتشف بأنها طبقات من المكونات تتراكم فوق بعضها البعض في سلسلة متتابعة العناصر ولهذه الطريقة ثلاثة وسائل في التقطيع كما ذكرنا قبل:

أ – الخطوط الرأسية: خطوط للفصل بين القسمين الأساسيين بأن نضع خطا بين القسمين الأساسيين في الجزء الأول و خطين بين القسمين الأساسين في الجزء الثاني نحو:

رجل | شيخ | دهمته | سيارة.

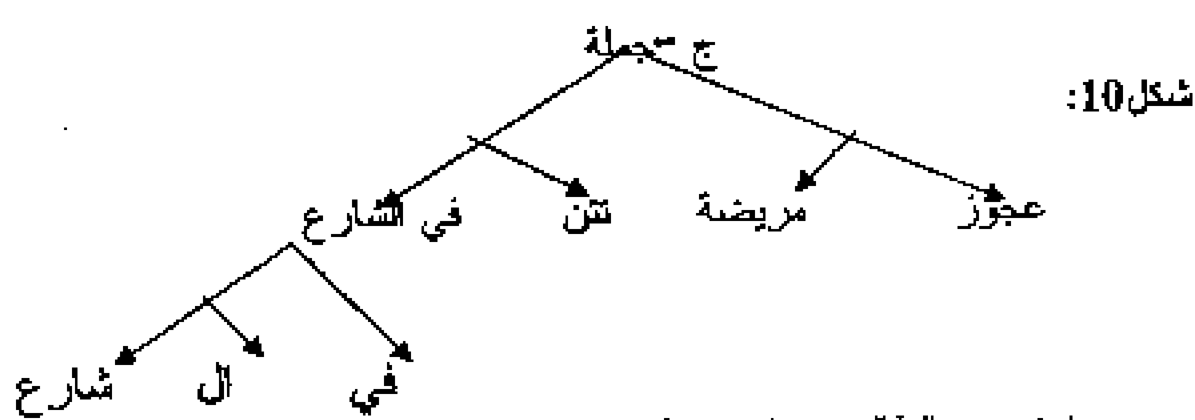
رجل | شيخ | دهمت|| ـــه| سيارة.

ب – استعمال الأقواس كما يلي:

[(((عجوز)) ((وحيدة)) ((تصرخ)) ((في الشارع)))]: استشفها بلومفيلد من الجبر.

ج – استعمال التحليل المشجر: وهي أحسن طريقة تعكس العلاقة بين مكونات الجملة: الشكل العاشر الموالي:

شكل10:



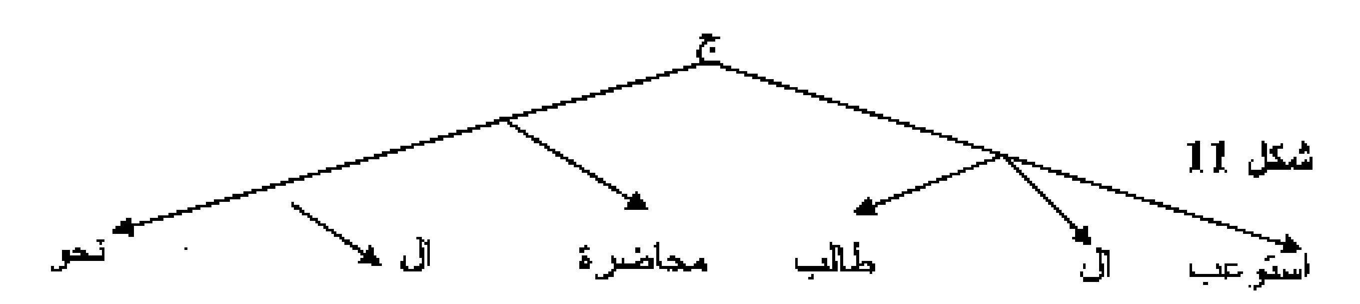
استوعب الطالب محاضرة النحو.

أ – استوعب | الطالب | محاضرة | النحو: باستعمال الخطوط الرأسية بين الأقسام الرئيسية.

– استوعب || الـــ|| طالب | محاضرة || الـــ || نحو.

ب – [(((استوعب ((الـــ)) ((طالب)))] [(((محاضرة ((الـــ)) ((نحو)))]: باستعمال الأقواس.

ج – : استعمال التحليل الذي يبرز التعلق بين مكونات التركيب يوضحه الشكل 11 :



شكل 11

يحتوي هذا النوع من التحليل على الأجزاء الأساسية لتحديد بنية التركيب (المكونات)

وتوجد تقنيات عملية خاصة لدراسة أو تحليل اللغة مثل الذي ذكرناه أدرجه التوزيعيون فيما سمي: صندوق هوكيت Hockett، يمثله الشكل (12) التالي :([1])

شكل12:

داهم	ت	نا	فعالي	ات	ال	عولمة
داهمت		نا	فعاليات		العولمة	
داهمـــتـــنا			فعـــاليـــات العولمة			
داهمـــتنا فعـــاليات العـــولمـــة						

ويظهر التوزيع فيه تصاعديا ينتهي فيه التحليل في العناصر الأولية التي لا تقبل تقسيما أصغر أو مؤلفات أدنى.ونهاية التحليل بحسب (هوكات) هو الجملة التي تمثل الوحدة اللسانية القابلة للتحليل.

وهو نموذج تحليلي يمكن أن يستعين به الباحث لضبط الأشكال اللغوية في اللغات البشرية والتمكن من تصنيفها.وما رآه هاريس(Hariss)، وبايك (Pike)،ويوجين نيدا (eaugen Nida).

ولكن يمكن القول: ان هاريس قد جمع من خلال كتابه: "مناهج اللسانيات البنيوية، عام 1951 ما تعلق بالبنيوية الأمريكية سواء في التنظير لها أم في التطبيق عليها،

---

1 - انظر نوم تشومسكي ، البنى النحوية ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة مجيد الماشطة ، مقدمة المترجم ، ص 8 .

حاول "هاريس" في كتابه تحديد معالم منهج بنيوي يصف فيه اللغة في إطار: (منطق العلاقات التوزيعية). لقد أدرك "هاريس" نقائص التحليل التوزيعي- وهو الذي مثل الجيل البلومفيلدي الثاني- فلجأ إلى (فكرة التحويل) في اللغة منذ عام 1952م في مقال له بعنوان: (الثقافة والأسلوب في الخطأ المطول). وزادت فكرة التحويل عنده وضوحا بمؤلف له: (البنى الرياضية للغة) فأصبح التوزيع لديه يقصد به:

- مجموع للسياقات التي يأتي فيها مكون لغوي معين.
- النظر في مدى تأثير هذه السياقات على هذا المكون اللغوي سواء أكان وحدة صوتية (فونيما) أم وحدة صرفية كلمة (مورفيما).
- اعتمد على المعنى وعلى مقياس التوزيع لتحديد البنى الصوتية الفونولوجية والنحوية التركيبية.
- طور في إطار (فكرة التحويل) مفهومي: الجملة النواة (الأصل)، والتركيب المحول.وهما المفهومان اللذان انطلق منهما "نوام تشومسكي في(نظريته التوليدية التحويلية).
- رأى أن تمييز الأصوات أوتحديد الفونيمات يمر عبر التمييز بين معاني الوحدات الصرفية أي الكلمات فلكي نميز مثلا بين [**الدال والطاء والنون**] لابد من النظر في المباني الصرفية[**دال – طال – نال**] وما تؤديه الأصوات أو الفونيمات السالفة من تغيير في الدلالة أو في المعنى وبهذا يكشف عن أن التمييز بين الأصوات أسهل وأكثر دقة علمية من التحدث عنها بالرغم من صفاتها الخاصة المتفردة بها في إطار التجريد خارج التطبيق اللغوي والارتباط بالمباني اللغوية ([1]) .

وقد لاحظ "هاريس" تشابها بين اللغات في مستوى الجمل المحولة. وقد كان لتشومسكي فيما بعد الدور البارز الذي أحدث به ثورة في البحث اللساني انطلاقا من الخلفية التي حددها

---

[1] - انظر د.خليل أحمد عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص 49 ، 50.

أساتذة "هاريس" فأصبح "المنهج التوليدي التحويلي" لنوام تشومسكي الحد الفاصل بينه وبين المنهج الوصفي للسانيات الأمريكية والأوروبية.

المنهج التوليدي التحويلي

تنتمي المدرسة التحويلية التوليدية إلى تشومسكي[2] الذي نقد المذهب السلوكي في علم اللغة وعلم النفس وذلك بتناوله بالنقد مؤلف سكينر "B.F. Skinner" الموسوم "السلوك اللغوي" عام 1959.

وتشومسكي أحد تلاميذ المدرسة التوزيعية (الهيكلية)وقد قام "زيليك هاريس" "Zellege Harris" بدور كبير في توجيهه.

وحينما كان تشومسكي يقوم بتحضير أطروحة الدكتوراه في جامعة بنسيلفانيا حاول تطبيق المنهج التوزيعي (أو البنيوية الهيكلية)،فتبين له أن هذه الطرائق التقليدية التي تمتعت ظاهريا بفعالية كبيرة في دراسة الأصوات والصيغ "الفونيمات والمورفيمات"، لا تتوافق بصورة جيدة مع دراسة الجمل بمختلف أنواعها- لأنها تستبعد المعنى- ولا تطبق على جميع أنواع الجمل أو الأجزاء الرئيسية من تلك الجمل؛ لذلك اقتنع العلماء بأن التوزيعية منهج في التصنيف، وليست أسلوبا صحيحا لفهم التركيب النحوي للجملة.فهي أي التوزيعية عاجزة عن تفسير كثير من العلاقات اللغوية (العلاقات بين الجمل) التي تحمل المعنى نفسه

2- ولد إفرام نعوم تشومسكي "AVRAM NAOM CHOMSKY" عام 1928 في ولاية فيلادلفيا في أمريكا. وعمل أستاذا للسانيات في معهد "ماساشوستس" للتكنولوجيا منذ 1954م. حصل على الماجستير في العبرية الحديثة، ثم حصل على الدكتوراه. تلقى مبادئ علم اللغة التاريخي عن أبيه الذي كان يعمل أستاذا للغة العبرية، كما أطلع على الأجرومية في النحو العربي، وله نشاط سياسي معروف في معاداته للسياسة الأمريكية في فيتنام.تتلمذ على هاريس وتأثر بجاكبسون .نشر كتاب:التراكيب النحوية وهو النواة الأولى لنظريته اللغوية[التوليدية التحويلية]التي نالت اهتمام الباحثين في العالم اللساني . أكد فيه على استقلال علم اللغة على العلوم الأخرى في الدراسة رغم الصلات الممكنة بينه وبينها كالمنطق والفلسفة والرياضيات المساعدة لعالم اللغة على التحليل والتوضيح وتمكن من القضايا البدهية التي يحتاجها الباحث. وله منطلقات فلسفية تبدو في تآليفه مثلا :[اللسانيات الديكارتية] و[اللغة والفكر]. انظر د. عبد السلام المسدي ، الأسلوب والأسلوبية ، ص 249 ، 250. ود. خليل أحمد عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص 52 وما بعدها. وكذا جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة د. حلمي خليل ، مقدمة المترجم، ص 11وما بعدها.

في حين أن تراكيبها الخارجية مختلفة كالمبني إلى المعلوم والمبني إلى المجهول مثلا: "أرسل الله محمدًا بالحق" و"أُرسلَ محمدٌ بالحقّ من الله".

أو تكون تراكيبها الخارجية متماثلة، ومعانيها مختلفة كقولك:

"زيد أحصى عقلا" و"عمرو أحصى مالا" : فالخبر الأول(أحصى)صيغة تفضيل، والثاني فعل ماض من أحصى يحصي بمعنى"عد".

وقد حاول تشومسكي أن يتدارك هذا النقص، وبث نظريته في كتابه "وجوه النظرية النحوية" الصادر عام 1957، وتطورت هذه النظرية تطورا كبيرا ليس على لديه فحسب بل على أيدي عدد آخر من تلاميذه و مساعديه، وشغلت معظم علماء اللغة في العالم حتى صار من العسير متابعة آخر التطورات التي تطرأ على الفروع المتعددة، وهي تعد نظرية نموذجية موسعة. ساهم "جاكندوف Jackendoff" في بلورتها و تثبيتها.

ومن المؤكد أن البنية السطحية (الصورة الظاهرة) لا تكشف عن المعنى الدلالي -في كل الحالات- في حين ينحصر إسهام البنية العميقة (التأويل الدلالي) في تعيين المعنى بتمثيل ما يسمى بالعلاقات المدارية "Relations Thématiques". ويبرز هذا الاتجاه -على سبيل المثال-في علاقة الضمائر بمراجعها التي تعود عليها،وأنواع الإضافة، والمعطوفات.. حيث تؤدي العلاقات الموقعية والمميزات الحركية في الجملة العربية دورا مقررا في تعيين المعنى.

قرر تشومسكي في ردوده على المعارضين لنظريته أن فيها عودا إلى مبادئ نظرية علم اللغة التقليدي،منتقدا الدراسات الحديثة التي سبقته في أنها فشلت في الانتفاع بالأنظار التقليدية. وهذا ما أشار إليه في مقدمة كتابه السابق ذكره:"إن اللغة تقوم على نظام من القواعد المحدودة التي تفسر عددا لا ينحصر من الجمل ليس جديدا". وقد لمح إلى هذه المقولة العالم الألماني "ولهم فون همبولدت[1]"Welhelm von Hamboldt" بعبارة بينة منذ قرن ونيف في مقدمته لعلم اللغة العام إذ يرى أن اللغة :"تستخدم وسائل محدودة استخداما

---

[1] - هومبولت تلميذ سلفاستردوساسي الذي تضلع في قواعد العربية، واطلع على مناهج النحاة العرب وكتب التجويد. وكان أستاذا في كولاج دوفرانس للغات الشرقية.

غير محدود". وهذا يحيلنا إلى الأصول التي استمد منها هذا العالم بعض منطلقاته بخاصة حين نذكر مسألة القدرة الخلاقة في اللغة في نظريته والتوليد التي تكشف مباحثها عند العرب مثلا على أنه ليس الأصل في ابتداعها، ذلك أن تصورات تأسيسية يمكن التماسها عند الخليل بن أحمد وسيبويه وكذلك عند عبد القاهر الجرجاني وفخر الدين الرازي والغزالي والفارابي والعلامة ابن خلدون.وهو ما تدل عليه الشهادة المصرح بها في الحوار الذي جرى بين الدكتور مازن الوعر ونوام تشومسكي في إطار خلفية تكوينه ومنابع دراسته التي لا تتنكر زيادة إلى ما سلف للتصور النحوي المستل من نظام اللغة العربية وخلفية مقدمة ابن آجروم النحوي المغربي(ت 723هـ)الذي أعاد صهر أبواب النحو بما يتفق مع النسق الإعرابي وعمل على تحسين هذا التصنيف.([2]) ونجد عند علماء الغرب أيضا من سبق تشومسكي بهذا مثل همبولت المشار إليه ودي سوسير مثلا وتصميم أنماط قواعد[نيويل سيمون]لحل المسائل التعبيرية بوضوح بما يكفي لكمبيوتر لكي يصدر إليه التعليمات بمحاكاة السلوك البشري. ونظرية تشومسكي تقوم على أساس قواعدي يشبه نمط [نيويل]([3]) ونوم تشومسكي نفسه يذكر أصول نظريته ومنابعها في كتابه«اللسانيات الديكارتية» بأن الإمعان في النظرية اللسانية الكلاسيكية والسمة العقلية التي رافقتها آنئذ ستؤكد في المستقبل أهميته وما يتضمنه من قيمة وأهمية تكشف أن القواعد التوليدية التحويلية في تطورها الحالي ليست سوى نسخة من مدارس[بور رويال] النحوية([1]) التي أراد فيها جماعة من اللغويين

---

[2] - انظر د. عبد السلام المسدي ، العربية والإعراب ، ص213 وما بعده . وكذا د. محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985م، ص 149وما بعدها.

[3] - انظر جوديت جريم ، التفكير واللغة ، ترجمة وتقديم د. عبد الرحيم جبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1992م، ص14.

[1] - تأسست مدارس بور رويال (الدينية) سنة 1637م وحلّت سنة 1661م نتيجة الصراعات الدينية والسياسية . وكان أول نشر لأصحابها سنة 1660عنوانه : النحو العلم والعقلي في القرن الثامن عشر ، أعيد طبعه عام 1830م ،وكان بعض كتاب المدارس في بور رويال منطقيين تأثروا بالمنطق ، لذا ظهرت سمة المنطق العقلية في ما صاغوه من قواعد عامة أكدوا فيها على رجحان دعاوي العقل الإنساني على النصوص وجعلوا ديكارت بدل أرسطو أساسا لمذهبهم وحاولوا الوصول إلى التمكن من وحدة القواعد التي تنبني عليها القواعد المستقلة للغات تتضمن أمثلة وأنماطا من الألسن : اليونانية واللاتينية والعبرية واللغات الأوروبية الحديثة . إنهم أرادوا إرجاع هذه القواعد العامة إلى الخصائص التي رأوها للغة التي تنبني عليها تلك الأمثلة التي قدموها . ويبقى هذا الطرح موضع اهتمام علماء النحو لدى الغرب أكثر من قرنين . وعلى هذا اعتز جماعة بور رويال بالوضوح والأناقة

الفرنسيين أن يكون عملهم النحوي دراسة واضحة المعالم للنحو العام. وليس قصدنا في الإشارة لمنابع نظرية تشومسكي أي انصراف للنيل من جهوده العلمية البحثية وإنما أردنا التأكيد على أن الفكر الإنساني متصل الحلقات لا يعرف الفجوات السحيقة والانقطاع وهذا الإطار يندرج فيه الربط بين تصورات المباحث اللغوية العربية وأساسياتها الفكرية والمنهجية وتأثيرها في ما تلاها من المباحث في الفكر الغربي الأوروبي والأمريكي.

إن كل لغة تتضمن عددا محدودا من الفونيمات كما تتضمن عددا محدودا من المورفيمات – مهما كان عددها مرتفعا– ولكن عدد الجمل في أية لغة طبيعية عدد غير متناه؛ إذ لا يمكن أن نحصي الجمل الجديدة التي يمكن إنشاؤها.

إذا كان علماء اللغة من بل قد اهتموا بتحليل التركيب الكلي للجمل في اللغات على أساس تسلسل صورته الشكلية الهرمية في مستويات الوحدات اللغوية :

أولا– الفونيمات Phonemes لتحليل الأصوات .

ثانيا –المورفيمات Morphemes لتحليل الكلمات أو الوحدات الصرفية .

ثالثا– النحو لإعراب الجمل إلى : فاعل– متمم للجملة – وشبه الجملة ..الخ.

فإن نوام تشومسكي قصد إعادة تشكيل هذا التحليل (وهنا يحق أن نستحضر منبع إعادة التشكيل وعلاقتها بإعادة الصياغة للأبواب النحوية في النحو العربي في مقدمة ابن جروم

والجمال الذي رأوه في اللغة الفرنسية .فهم [عقليون] يقابلون [التجريبيين] في إطار الصراع القائم طيلة القرون: السادس عشر ، والسابع عشر، والثامن عشر بين مذهبي العقل والتجريب اللذين قادا إلى الاختلاف في منهج الدراسة اللغوية لدى العقلانيين ؛ فالعقل عندهم هو مصدر المعرفة بمعنى أن بنية اللغة عندهم من نتاج العقل وبأن اللغات البشرية نماذج متفرعة من خلفية منطقية ونظام عقلي واحد،أي ان العقل البشري قوة وطاقة خلاقة مبدعة وهذه هي السمة العقلية التي يمكن ملاحظتها على الأعمال اللغوية. أما المذهب التجريبي الذي ظهر لأول مرة في انجلترا ردا على الأفكار السكولاستية في القرون الوسطى ومحاكاة التوجه العلمي الجديد الذي بلوره [كوبرنيك] و[غاليليو] القائم على ما ذهب إليه [فرانسيس بيكن] المؤكد على أهمية الملاحظة والاستقراء كتأسيس للنظر العلمي الذي وقع تبنيه من التجريبيين في دراسة كل لغة في إطار تميز بنيتها وخصائصها وعزفوا عن التطرق إلى الكليات اللغوية العقلية .والوصفيون بعامة أتباع لهذا المذهب التجريبي المادي يتصدرهم دي سوسير في أوروبا وبلومفيلد في أمريكا.انظر ر.هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ، ترجمة د. أحمد عوض ، ص 207 وما بعدها. وانظر د. محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، ص141 ، 143،142 وكذا أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص 49 ،50.

النحوي المغربي السالف الذكر) في شكل إعادة الصياغة لكي يقع توليد واشتقاق التراكيب المحتملة للوحدات داخل الجمل.

شكل إعادة صياغة القواعد المتعلقة بالتحليل عند تشومسكي :([1])

1- S(sentenc → Np + Vp-   1 -الجملة ← عبارة اسمية +عبارة فعلية

2 -NP → T+ N   2- العبارة الاسمية ← أداة تعريف +اسم.

3- VP → Verb + NP   3-العبارة الفعلية ← فعل +عبارة اسمية

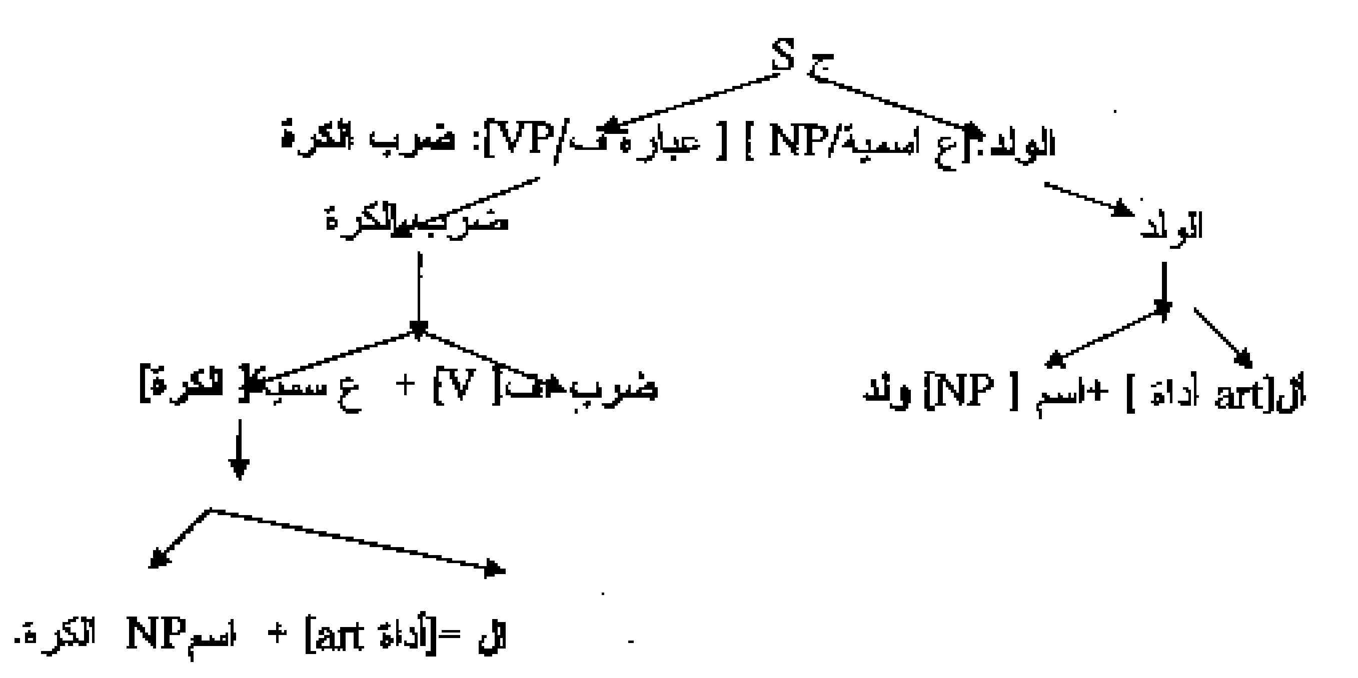
4- T → The (artic   4-أداة التعريف ← ال .

5- N → Man -Ball-etc   5-اسم ← رجل، كرة ..الخ

6- V → hit.hook   6- فعل ← ضرب ، أخذ.

فإذا أردنا إعادة صياغة قواعد الجملة : **[الولد ضرب الكرة]** نقدمها في الرسم الموالي من الشكل 13 المشجر كما يلي :

شكل**13** : يمثل التحليل الشجري وهو يبين أركان الجملة :



1- نبدأ في إعادة الكتابة بالجملة باعتبارها عنصرا ونطبق القاعدة الأولى رقم 1:([1])

1- انظر نوم تشومسكي ، البنى النحوية ،ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز مراجعة مجيد الماشطة ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987م ،ص37 وما بعدها.

القاعدة الأولى ←الجملة ←العبارة الاسمية +العبارة الفعلية .

— ←الولد : « عبارة اسمية » + ضرب الكرة :« عبارة فعلية».

2- نطبق القاعدة الثانية : العبارة الاسمية ← أداة تعريف +عبارة اسمية« اسم الولد» .

←ال + ولد.

3- القاعدة الثالثة: عبارة فعلية ← عبارة فعلية ←الفعل +عبارة اسمية :

← ضرب الكرة ←ضرب + الكرة

4-القاعدة الرابعة :أداة التعريف ← ال.

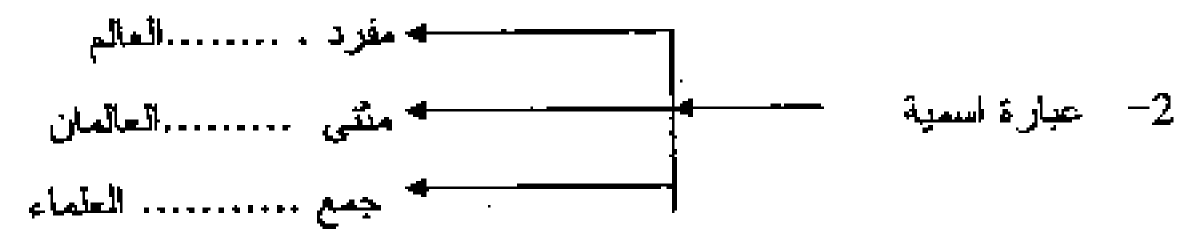
5- القاعدة الخامسة : الاسم (كرة ....) .

6- القاعدة السادسة : الفعل (ضرب..........).

السلسلة النهائية: أل + ولد + ضرب + ألـ + كرة.

ولتطبيق هذه القواعد على اللغة العربية يعوزه بحث خاص لأنه يستدعي إدخال تعديلات على هذه القواعد.لكن نستطيع الاستشهاد بالنموذج التالي من الشكل **14** قصد إعطاء فكرة : «**العالم يبتكر نظرية**» تم إعادة كتابتها والتوليد منها بتطبيق واتباع القواعد التوليدية – التحويلية التالية :

1- الجملة ←عبارة اسمية + عبارة فعلية



3-مركب اسمي مفرد ← أداة + اسم .

4- مركب اسمي مثنى ← أداة +اسم + علامة التثنية .

5-مركب اسمي جمع ← أداة + اسم + علامة الجمع .

2- انظر نوام تشومسكي ، البنى النحوية ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ،مراجعة مجيد الماشطة ، ص37. وكذا جون ليونز نظرية تشومسكي اللغوية ترجمة وتعليق د. حلمي خليل ، ص 123 ، 124.

6-مركب فعلي ← فعل +مركب اسمي

7- أداة ← ال.

8-اسم ← عالم + نظرية .

9- فعل ← فعل مساعد [الزمن] + فعل .

10-فعل ← ابتكر .

11- فعل مساعد ← الزمن + الصيغة المساعدة .

12- الزمن ← الحال والماضي .

13- صيغة مساعدة ← [سوف ، قد ، لقد ، السين..]

13- (أ)زمن ويرمز إلى زوائد المضارع والتأنيث + التأنيث وللمثنى والجمع التي قد ترمز إلى الفعل والصيغة المساعدة وأفعال الكينونة والملكية .

13- (ب) استبدال + ب : يتم إدخاله على أول الجملة وعلى آخرها .

14-ال+ عالم + فعل + ال + نظرية .

15-ال+ عالم + ماض + اخترع + نظرية .

16-ال+ عالم + ماض + اخترع + نظرية .

17 – العالم يبتكر نظرية .

لقد وضع تشومسكي معادلة رياضية كفيلة بتحليل الكلام [ك] إلى أداة [أد] ثم إسناد [إس]:

1- ك ← أد – إس

2- إس ← م – م إ– ف [مسند – كسند إليه – فضلة]

ومن خلال هذه المعادلة الرياضية نعيد كتابة أو صياغة ال [ك] إلى [أد–إس] أي أن الكلام يتفرع إلى أداة [أد]ثم [إس] ثم يتفرع الإسناد إلى مسند [م] ومسند إليه [م إ] وفضلة [ف].وهذه القواعد تسمى قواعد تفريعية. ثم يلجأ الباحث اللساني إلى قواعد معجمية أخرى لاشتقاق أو توليد الكلمات يسميها تشومسكي : **القواعد التوليدية المركبية.**

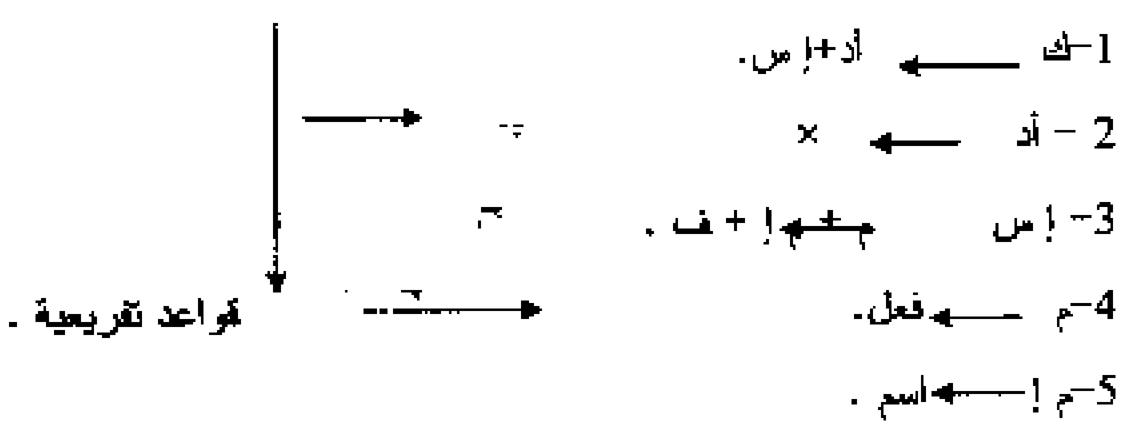
إذن أنت ترى بأن قواعد إعادة الكتابة مؤلفة من :

أولا- قواعد تفريعية لتفريع مستويات اللغة العليا إلى مستويات دنيا.

ثانيا - قواعد معجمية وظيفتها تزويد المستويات اللغوية بالمادة المعجمية.

ولعله من المفيد عرض هذه القواعد التوليدية -المركبية في الشاهد الموالي :

[ك=] ([1]) : ابتكر اللساني المنهج التحليلي.



6- ف ← منعوت ونعت.

7-اسم ← تع [أي تعريف] + إ [أي اسم].

8- منعوت ونعت ← تع + إ .

9- تع ← ال.

10- اسم ← اللساني المنهج.

11- نعت ← لساني.

12- فعل ← ابتكر.

قواعد معجمية.

وهي جملة يمكن تمثيلها على النمط المشجر إبرازا لمكوناتها الركنية.

وعلى أية حال يعد "التركيب" في نظر التوليديين أهم الأسس التي تقوم عليها الدراسة اللغوية بالإضافة إلى الصرف والأصوات - والمجالان الأخيران لا يختلفان عن المدرسة

---

[1] - ك= كلام . م إ = مسند إليه . م =مسند. ف = فضلة . تع = تعريف . إ = اسم .

التوزيعية– وكذلك نظام المعاني: فهي نظرية شاملة لجميع وجوه اللغة المختلفة. لكن هذه القواعد كلها وسيلة لتوليد جميع الجمل الصحيحة في لغة معينة.

وتعريف النحو عندهم بالنسبة للمتكلم:

1- نظام من الأحكام قائم في عقل أهل اللغة، يكتسب في الطفولة المبكرة عادة، ويسخر لوضع أمثلة الكلام المنطوقة وفهمها.

وبالنسبة للباحث:

2- هو نظرية يقيمها اللغوي مقترحا بها وصفا لسليقة المتكلم.

3- القواعد النحوية جهاز لإنتاج الجمل في اللغة التي ندرسها ونحللها .

4- القواعد النحوية تصف الطريقة التي تنتج الكلام عند المتكلم وتصف الطريقة التي يستقبل بها المخاطب أيضا الكلام في أي لغة .

5- إن قواعد اللغة محايدة على مستوى إنتاجها وعلى مستوى استقبالها أيضا.

6- إن القواعد اللغوية عند تشومسكي طاقة مبدعة ، خلاقة تعكس الجانب الإبداعي في اللغة الإنسانية وهي التي يجب أن تولد جميع الجمل في هذه اللغة ، تولد تأليفا مركبا من الكلمات في اللغة مع الاعتداد بأنه ليس كل تأليف مركب من كلمات يعد من الجمل وإن كان هذا يوحي بوضع حدود عازلة بين بين سلسلة كلامية وأخرى للدلالة على أن الأولى صحيحة وبأن الأخرى ليست كذلك فإنه أمر صعب لكن الأقرب ههنا هو ما تقدر عليه القواعد النحوية من إمكانية لتوليد الجمل . وإنه لمن المهم أن نشير في هذا المقام فكرة الصحة النحوية وعدمها في التراث النحوي العربي في الاستعمالات المختلفة على مستوى الصوت والصرف والنحو والدلالة .([1])

وعلى العموم إن هذا الاتجاه في البحث موجه بشكل رئيس إلى الجملة؛ لأنها الوحدة اللغوية الأساسية التي تستخدم في الإبلاغ، وفيه إصرار على أن القواعد يجب أن تكون قادرة على توليد الجمل الصحيحة فقط على أساس أنها شكل تجريدي نظري

([1]) - انظر السيوطي المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،شرح وتعيق محمد جاد المولى بك وآخرون ،المكتبة العصرية بيروت ،ج1 ،) ص184وما بعدها

لا علاقة له بالصواب والخطأ. وعلى هذا يتضح أن تشومسكي ينظر إلى اللغة من (الداخل) مستقصيا (مقدرة) ابن اللغة على استعمال لغته وفهمها بإلحاح يقابل إخلاص الوصفيين الذين نظروا إلى اللغة من(الخارج) المضاهي لدأب علماء العلوم الطبيعية فركزوا على الظواهر اللغوية في الكلام المنطوق والمكتوب.

إن التوليديين يميزون بين جانبين: [2]

1 – السليقة أو القدرة اللغوية "compétenc": وهي نظام اللغة الكامن الذي يكتسبه أبناء اللغة ابتداء من طفولتهم.

2 – الإنجاز أو القدرة على الكلام "performance": وهي أمثلة الكلام التي تصدر عن (السليقة) على نحو لا ينحصر في مواقف الأداء اللغوي.

تركز هذه المدرسة على أن القواعد النحوية في أية لغة محدودة، ولكن عدد الجمل لا ينتهي – الكلام غير متناه – كما أننا من الناحية النظرية يمكن أن نطيل الجملة فنكثر في ألفاظها، ومثلا على ذلك القاعدة المتعلقة بالصفات التي يمكن أن تتبع الاسم لا نهاية لها مثل أن تقول :(قل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الحي القيوم الرحمن الرحيم السميع العليم...). وهكذا تتوالى الصفات الجائزة في حق المولى تبارك وتعالى.

وكذلك القاعدة التي تسمح بتكوين الجمل الفرعية داخل الجمل المحورية (الرئيسية) قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ [البقرة:48]. فالجمل الأربع المنفية وقعت صفات لكلمة(يوما)

وإن كانت مدرسة تشومسكي قد أدخلت المعنى في منهجها الدراسي مبدئيا فإنه تطور على يد الكثيرين من العلماء الذين حاولوا تقديم نظرية كاملة عن نظام المعاني في اللغة، وربطوه بالنظرية الأساسية للقواعد التحويلية التي بدأها تشومسكي.

---

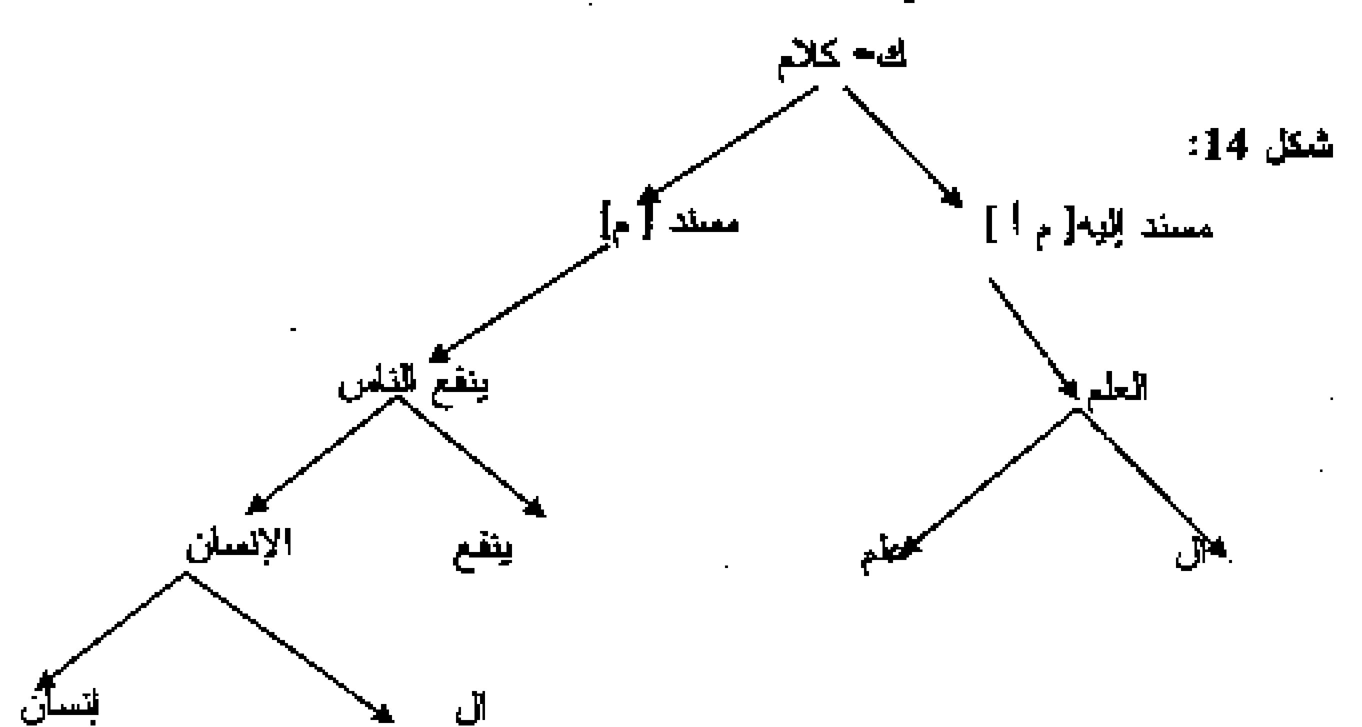
(2)– إن ابن جني (ت392) سبق في الإشارة إلى هذا في تعريفه للنحو: انتحاء سمت كلام العرب.

وقد وردت أول إشارة إلى حتمية استعمال المعاني في التحليل اللغوي في أول مجموعة من القواعد التي اقترحتها هذه النظرية، وهي ما سميت بقواعد التحليل النحوي الأولى- وهذه لا تختلف عن طريقة المدرسة التوزيعية، و إليك هذا المثال:

الجملة:" العلم ينفع الإنسان"

- تحلل بالطريقة التوزيعية في الشكل 14 كالتالي:

شكل 14:



- أما النظرية الجديدة فإنها تنظم هذا التحليل على هذا الشكل:

- القاعدة رقم 1 – الجملة = مبتدأ + خبر.
- القاعدة رقم 2 – المبتدأ = ال + اسم.
- القاعدة رقم 3 – الخبر = فعل + اسم.
- القاعدة رقم 4 – ال = أداة تعريف
- القاعدة رقم 5 – الاسم = علم، إنسان.
- القاعدة رقم 6 – الفعل = ينفع.

وتتميز هذه الطريقة في أنها ترتب الخطوات التحليلية ترتيبا مترابطا، وذلك بأن تعتمد كل خطوة منها على خطوة سابقة لها لتعطينا صورة واضحة عن التركيب الأفقي للجملة، بالإضافة إلى أننا نستطيع أن نركب من هذه الكلمات جملتين أو أكثر لا جملة واحدة، كأن نقول: " ينفع العلم الإنسان " "الإنسان ينفعه العلم "......الخ.

ومن هنا نستطيع أن ندرك صفة هامة من صفات القواعد اللغوية، وهي القدرة على التوليد، وإذا أضفنا فعلا آخر، واسما استطعنا أن تولّد جملا كثيرة... وهكذا . إن المقصود بتوليد الجمل في هذا المنهج ما كان مقبولا نحويا ودلاليا. وقد أشار إلى هذا علماء العربية بقولهم: " الجملة الصحيحة تركيبا، والفصيحة معنى " [1] كما أننا ندرك أن الاسم الذي نبدأ به هو الفاعل الحقيقي والاسم الثاني هو المفعول (المثال المذكور سابقا)، وقد تتغير رتبة العناصر، فتتغير وظائفها النحوية (الإعراب)، ولكن العلاقة المعنوية بين عناصر الجملة تبقى هي نفسها. وتلك العناصر -بحسب هذه النظرية- هي التي تألف البنية العميقة أي البنية الداخلية للجملة.

وإذا أردنا معاني أخرى كالتوكيد والنفي والاستفهام ... فإننا نضع لها قواعد إضافية على طريقة القواعد السابقة مع المحافظة على العناصر الأولى المتوفرة لديها في البنية العميقة مادام المعنى الأساس واحدا، وهذا ما يسمى عندهم بالقواعد التحويلية.

وبهذا يزودنا النظام النحوي بالمعلومات عند تركيب الجملة العميق، وتزودنا القواعد التحويلية بالمعلومات عند الشكل الخارجي للجملة، وتفيدنا -كذلك- العلاقات بين العناصر بالمعنى الدلالي للجملة.

ونحلل هاتين الجملتين وفق المدرسة التحويلية التوليدية على النمط الآتي للمقاربة والتوضيح ؛الأولى: قوله تعالى:﴿وفجرنا الأرض عيونا ﴾[القمر:12] ؛الثانية :ظلم الناس يؤلمك.

أ- البنية السطحية		ب- البنية العميقة
1- وفجرنا الأرض عيونا	←————	1- وفجرنا عيون الأرض

---

[1]- لا نقصد -بما أشار إليه العلماء العرب - أننا نغمط حق المجتهدين من اللغويين المحدثين، لأننا نؤمن أن الفكر العلمي ملك للإنسانية جمعاء، فمن سبق فيه كان أحق بالفضل.

.... 2- وفجرنا الأرض بالعيون.

.... 3- وفجرنا العيون من الأرض.

.... 4- وانفجرت عيون الأرض.

.... 5- وانفجرت الأرض بالعيو

2- ظلم الناس يُؤلمك :

.... 1 - ظلم الناس لك يُؤلمك.

.... 2 - ظلمك للناس يؤلمك.

.... 3- ظلمُ الناس بعضهم بعضا يؤلمك.

وهكذا تتعدد الجمل المحوّلة عن الجملة النواة، وتبقى محافظة على المعنى الأساس، كما تحافظ على العلاقات المعنوية نفسها بين عناصر الجملة، ولكن رُتبةُ العناصر تتغير وكذلك الوظيفة النحوية داخل التركيب بحسب القواعد التي تبيحها قوانين اللغة.

ويُقدّم "فلمور Charles Fillmore"تعديلا لنظرية تشومسكي كان له أثر كبيرعلى التفكير اللغوي المعاصر،ودعا نظريته بقواعد الحالة الإعرابية(لا يقصد المفهوم القديم للإعراب)، ويريد بذلك مجموعة المفاهيم التي تُمكّن الإنسان من إصدار بعض الأحكام المختلفة عمّا يدور حوله من أحداث كمعرفة من يقوم بحدث ما؟ ومن يقع عليه حدث ما؟ وما الذي حدث؟ ومتي وقع ذلك؟ ولِمَ؟ ولماذا؟ ويذكر "فلمور" الأمثلة التالية على جمل يشعر الإنسان أنّها متشابهة في المعنى رغم اختلاف تراكيبها الخارجية.

1- فتحَ عليٌّ البابَ. 4- فتحَ عليٌّ البابَ بالمفتاح.

2- فتحَ المفتاحُ البابَ. 5- استخدم عليٌّ المفتاحَ لفتح الباب.

3- إنفتحَ البابُ على يد عليّ . 6- فُتِح البابُ بالمفتاح من عليّ.

الجمل فعلية،والفاعل في الصورة الظاهرة هو[علي] في الجملة الأولى،وهو [المفتاح] في الجملة الثانية، وهو [الباب] في الجملة الثالثة. غير أن العلاقة الحقيقية لكل اسم من الأسماء الثلاثة بالفعل تختلف من جملة إلى أخرى، ففي الجملة الأولى(عليّ)هو الفاعل

الحقيقي (الفاعل الفعّال الإرادي المختار)وفي الثانية هو الأداة أو الوسيلة (الآلة) التي فُتحَ بها الباب، وفي الثالثة كان (الباب) هو الذي وقع عليه الحدث (المفعول به في الحقيقة).

هل أثرت هذه الأشكال الخارجية للجمل على العلاقات المعنوية بين الأسماء الثلاثة المختلفة وبين الفعل المستعمل في كل منها؟

ما دام ذلك لم يحصل فإن الأمر المهم والجدير بالدراسة هو هذه العلاقات المعنوية الأساسية في الجمل؛ لذلك يجب أن تصبح هذه العلاقات هي النقطة المركزية التي يجب أن يعالجها التحليل اللغوي، ويعمل على تفسيرها.وتلك العلاقات معنوية وليست نحوية[1].ويضعها "فلمور" في الدرجة الأولى من الأهمية بمعنى أنها تأتي أولا في التحليل اللغوي ثم تتحول بواسطة قواعد نحوية وصرفية وتحويلية وصوتية إلى الشكل الخارجي للجمل [هذا قطب لمبادئ المدرسة التوزيعية التي تنطلق من الأصوات إلى التراكيب].

وبهذه الطريقة نبدأ بالمعنى والوظيفة المحددة، ثم نحاول إيجاد الطرق اللغوية المختلفة للتعبير عنها بدلاً من أن نسلك الطريق المعاكس، وإذا استعملنا هذه الطرق نلاحظ أن أشكالا لغوية متعددة يختلف بعضها عن بعض اختلافا قليلا أو كثيرا يمكنها أن تُعطي المعنى نفسه أو تؤدي الوظيفة نفسها.

ويدلل على ذلك بمثال، وهو أن يكون مرادُنا أن نأمر أحدا بغلق النافذة بطريقة لطيفة:

- هل تسمحُ بغلق النافذة؟
- هل تُمانع أن تفتح النافذة؟
- هل يُضايقك أن تفتح النافذة؟
- هَل لك أن تفتحَ النافذة؟
- هلا تكرّمتَ بفتح النافذة؟
- هل ترغبُ في فتح النافذة؟
- أتحبُ أن تفتح النافذة؟
- أكون شاكرًا لو فتحت النافذة؟
- أتستطيع أن تفتح النافذة؟
- إن فتحت النافذة تجدّد الهواء في الغرفة؟
- أتفضّل أن تكون النافذة مفتوحة؟
- ربّما كان بإمكانك أن تفتحَ النافذة.
- أودّ أن تفتح النافذة.
- الجو خانق في الغرفة و النافذة مغلقة.

---

[1]- ربما كانت نظرية الجرجاني في علم المعاني خير مساعد لنا في تحليل الجملة العربية بطريقة توليدية تحويلية.

- ليتك تفتح النافذة.
- الجو جميل في الخارج والنافذة مغلقة.
- أتمنى أن تفتح النافذة.
- من المفيد صحيًا أن يكون الهواء متجددًا.
-- افتح النافذة من فضلك.

نلاحظ أن الجمل المذكورة تعبر عن فكرة واحدة وهي "فتح النافذة"، وتعددت طرق التعبير عن هذه الرغبة، ولا شك أن "الطلب" يدخل في باب الأمر، ولكننا لم نستعمل إلا جملة واحدة (الجملة الأخيرة)، وما عداها فذات أساليب مُختلفة منه الأسلوب الاستفهامي، والخبري والشرطي .....الخ.

إن المعاني هي في الواقع أساس ما يجب أن يُعنى به اللغوي في مباحثه اللغوية، أما الأشكال الخارجية فما هي إلا اللباس الذي ترتديه تلك المعاني أو المفاهيم؛ لأنها إمكانات تبيحها القوانين اللغوية وهي ترتصف وتنتظم بحسب ترتيب المعاني في النفس كما قاله عبد القاهر الجرجاني.

الخاتمــة

- تناولت الدراسة مسائل لغوية تتعلق باللسانيات المعاصرة ، يمثل الخوض في مرابض أسسها وكنه مقاصدها وآليات تنظيرها ومنهج استعمالها وأصول أسسها المعرفية من المراودات الملحة والأهداف المرامة والمعارف المطلوبة لدى الباحث .

- إنها مجال حيوي يستدعي فهمها ومقابلتها بأصولنا التراثية والاستفادة منها في المزيد من الكشف والوقوف على أسرار اللغة .

- لقد أردنا من هذا المبحث توجيه القارئ إلى الأسس التي بنيت عليها المدارس اللسانية للوقوف على عوامل نشوئها ومناهجها وأهدافها العلمية ومرجعياتها للاستعلام والإفادة منها.

- إذا كان النحو نسقا من القواعد والقوانين تتوخى الغاية التعليمية في اللغة فإن الدرس اللساني المعاصر لا يلغي هذا المفهوم بيد أنه يمنحها مفاهيم وصور أخرى تختلف باختلاف الاتجاهات التي عرفتها اللسانيات ضمن هذه المدارس ومرجعياتها وأهدافها.

- لقد كان لدي سوسير وغيره من العلماء الدور الفاعل في توجيه مجرى الدراسات اللغوية المعاصرة إلى التأسيس العلمي وإلى اقتحام معاقل العلوم الأخرى كعلم النفس التحليلي وعلم النفس اللغوي وعلم الأجناس البشرية وعلم الدلالة وعلم الأصوات الوظيفي وعلم الاجتماع وغيرها بإفادتها والإفادة منها في تطوير البحث اللساني .

- يظهر في الدراسة المعروضة أشهر مدارس اللسان المعاصرة وأسسها وطرق تحليلها والمناهج التي اعتمدتها في إطار :

- البنيوية.
- التوزيعية.
- التوليدية التحويلية .

وهي حقائق تمثل رفدا مهما للأعمال البحثية عند الدارسين في هذا المجال .

- تحتاج النظريات اللغوية إلى تعامل واع ناقد لأنها تهتم أكثر وتركز على النظام اللغوي وحده ولا تضيف إليه أو تعنى بتحققه في الواقع والاستعمال.

- لقد رأى تشومسكي في النحو مفهوما علميا نظريا ضمن الصيغة الشمولية المحضة التي لم تلتفت مثل غيره إلى الوصفية أو التجريبية أو التصنيفية.ويبدو أن التوليد مدرج في هذا المجال في أن اللغة ذات وسائل تعبيرية مخصوصة تمكن من آليات تعبيرية لا نهاية لها لأنه من خلال قواعد التركيب تتفرع البنى النحوية التي تقوم على المنطق والتجريد في الوقت الذي تمنحها قوانين التحويل شكلها النهائي.

نرجو أن تسهم هذه الدراسة في تمكين الباحث والطالب بخاصة للمعاينة المتأملة لهذه المسائل المدروسة في مرابض المطروح المدرسي الغربي اللساني بعامة .ولا ريب في أن متابعة تدقيقها وإثارة قضاياها مما يثري الدرس اللغوي سواء على مستوى علوم اللسان العربي أم على مستوى اللسانيات الحديثة ذاتها.

وفقني الله تعالى إلى خدمة لغة القرآن الكريم

وما توفيقي إلا به عز وجل.

المراجع

- أحمد حساني:
1- مباحث في اللسانيات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م.
- أحمد سليمان ياقوت:
2- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها على القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- أحمد مومن :
3- اللسانيات النشأة والتطور(د.م.ج)،الجزائر، 2002م.
- أحمد مختار عمر:
4- البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1982م.
- أحمد العمراوي وخالد البقالي الفاسي:
5- ديداكتيك التربية الإسلامية من الابستمولوجي إلى البيداغوجي..
- الأنطاكي محمد :
6- الوجيز في فقه اللغة ،مكتبة دار الشرق ، بيروت ط3. [د.ت].
- أنيس فريحة :
7- نظريات في اللغة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1989م.
- الجاحظ :
8- البيان والتبيين قدم لها وبوبها وشرحها د.علي أبوملحم،دار ومكتبة الهلال، بيروت ط1، 1988م.
- جوزيف ميشال شريم :
9- دليل الدراسات الأسلوبية ،المؤسسة الجامعة للدراسات ، بيروت ط1، 1984 م.
- ابن جني:
10- سر صناعة الإعراب، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
- الجرجاني [عبد القاهر ت471هـ] :
11- دلائل الإعجاز، (وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه)، السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978م.
- الجرجاني :(علي بن محمد علي ت 816هـ):
12- التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، بيروت دار الكتاب العربي، ط1.
- الحمزاوي[محمد رشاد] :
13- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1987م.
- مازن الوعر:
14- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث-مدخل،دار طلاس،دمشق،ط1 ،1988م.

- محمد إبراهيم عبادة:

15- الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1988م.

- مهدي المخزومي:

16- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربي،بيروت،ط3، 1983م.

- محمد الخضر حسين الجزائري:

17- القياس في اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1986 م.

18- دراسات في العربية وتاريخها ،ط 2،المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح،مشق، 1960م.

- محمد حسن عبد العزيز:

19-مدخل إلى علم اللغة،دار النمر للطباعة،القاهرة 1983م.

- محمد خان:

20 - مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى، الجزائر، (د.ت)

- محمد سمير نجيب اللبدي:

21 - معجم المصطلحات النحوية والصرفية،مؤسسة الرسالة بيروت-قصر الكتاب الجزائر- دار الثقافة الجزائر (د.ت).

- محمد حسن عبد العزيز:

22 - مدخل إلى علم اللغة،القاهرة.

- محمود فهمي زيدان:

23- في فلسفة اللغة دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985م.

- ميشال زكريا:

24 - الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية.

- المسدي [عبد السلام] :

25 - اللسانيات من خلال النصوص ، الدار التونسية للنشر ط1 ، 1984م.

26- الأسلوب والأسلوبية ، الدار العربية للكتاب ، ط2 - 1982م.

27 - العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي 2003م ، تونس.

- مصطفى ناصف:

28- نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت.

- السامرائي[إبراهيم] :

29- التطور اللغوي التاريخي ، دار الأندلس ، بيروت ط3 ، 1983م.

- السيوطي[جلال الدين ت911هـ]:

30- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك وآخرون.

المكتبة العصرية- صيدا بيروت، 1987م .
31 - الإتقان في علوم القرآن ، عالم الكتب، بيروت.
*-علي عبد الواحد وافي :
32- علم اللغة ، دار نهضة مصر ، ط 9 ، القاهرة.
*- عبد القادر الفاسي الفهري:
33- اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات، بيروت 1986م ، ط 1
*- الفهري (عبد القادر الفاسي]:
34- اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1986م.
*- فندرايس:
35 - مناهج البحث في اللغة ،مكتبة دار الشروق ، بيروت ، ط3، (د.ت).
- صالح بلعيد:
36-التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية 1994م.
*-القاضي عبد الجبار :
37-المغني ج5 نقلا عن أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1994م.
- شكري عياد :
38- اللغة والإبداع : مبادئ علم الأسلوب العربي ، القاهرة ، 1988م.
*- الذهبي[محمد حسين] :
39- التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة القاهرة ، ط4، 1989م.

الكتب المترجمة

- 40- ر.هـ. روبنز،موجز تاريخ علم اللغة،ترجمة.أحمد عوض،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت عدد227،1997م.
- 41- فرديناند دي سوسر، محاضرات في الألسنية العامة،ترجمة يوسف غازي وغيره المؤسسة الجزائرية للطباعة،1989م.
- 42- التعريف بعلم اللغة،ترجمة د.حلمي خليل،الهيئة العامة للكتاب،الإسكندرية.
- 43- جون ليونـــز، نظرية تشومسكي اللغوية ،ترجمة وتعليق، د.حلمي خليل،دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 1995م.
- 44- جوديث جريم ،التفكير واللغة،ترجمة وتقديم د.عبد الرحيم جبر،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1992م.
- 45- كاترين فوك وغيره،مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ،تعريب د.المنصف عاشور (د.م.ج) الجزائر، 1984م.
- 46- رومان ياكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم،المركز الثقافي العربي،بيروت،الدار البيضاء ط1 2002م.
- 47- برتيل مالبرج،علم الأصوات،ترجمة د. عبد الصبور شاهين،مكتبة الشباب المنيرة1985م.
- 48- نوم تشومسكي،البنى النحوية ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز،مراجعة مجيد الماشطة، منشورات عيون ط2،الدار البيضاء 1987م.
- 49- بيرو جيرو، علم الإشارة،السيميولوجيا،ترجمة منذر عياشي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1988م.

المعاجم

- 50 – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ، ط1.
- 51-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون.

الدوريات

- 52- نايف خرما،أضواء على الدراسات اللغوية الحديثة،سلسلة عالم المعرفة الكويت، عدد9.

الفهرس العام

المدارس اللسانية
- مدخل -

علم اللسانيات

المدارس اللسانية بعد دي سوسير

تم بحمد الله